الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي جاردن سيتي — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢ / ٥٦٧٦٩

العدد ١١٦ | الثلاثاء ٢٠ من صفر سنة ١٣٦٠ — ١٨ من مارس سنة ١٩٤١ | السنة الثالثة

فهرس العــــــدد

المساعدة الأمريكية

في شهر آذار تكتسي الأرض بحلة وشية نحو الربيع ، وترتفع الشمس فوق الأفق ، مرسلة أشعتها عمودية على خط الاستواء ، ويتعادل الليل والنهار ، وينضر الزرع ، ويتفتح الورد ، ويغرد الطير . ذلك أن آذار بشير الربيع ، والربيع هو التجدد والحياة ، والبشر الطافح ، والطبيعة الفتية الضاحكة .

ولكن قضاء عجيبا ، قد أحال بشير الحياة إلى نذير الموت ، وباعت السعادة إلى جانب الشقاء . وأبت إرادة الطغاة إلا أن يكون الربيع موسم عدوان وبلاء . لذلك كان من حسن حظ الديمقراطية ، التي اضطرت برغمها إلى خوض غمار هذه الحرب ، ولم تكن قد أخذت لها عدتها ، أن استقبلت الربيع بقوة جديدة . فإن أمريكا وهي أكبر من أنجبت الديمقراطية ، قد مدت يدها أخيراً ، وبعد لأي ، لنصرة الدين الذي تدين به ، ولتذود عن نفسها ويلا كان لا بد أن يحل بها إذا هي قصرت أو أحجمت .

في الحادي عشر من شهر مارس الجاري استطاع الرئيس روزفلت أن يمضي قانون الإعارة والتأجير . وبهذا القرار الجليل ، تمهد أمريكا السبيل لأن تبذل مواردها الهائلة للدفاع عن الديمقراطية . فلقد أدركت أمريكا بعد انقضاء عام ونصف عام على الحرب أن كيانها في خطر عميق ، وأن انتصار الطغيان في الجانب الشرقي من المحيط

الأطلسي يطاردها من بحريات وطيور ، وهي أيضاً بادرت بالاستعداد لتزويد الديمقراطيات بمساعدات هائلة ، هي في الحقيقة أجل وأعظم مما قدمته في الحرب الماضية ؛ فلقد كانت أمريكا في الحرب العالمية الأولى تتقاضى ثمن ما تقدمه . أما اليوم فإنها تريد أن تبذله على سبيل الإعارة والتأجير ، بحيث لا تحتاج الديمقراطيات لأن تدفع لنفسها مالاً في أمريكا ، وقد نضبت أموال الحلفاء في أمريكا ، أو أوشكت أن تنضب .

ولقد بادر الرئيس روزفلت فطلب من رجاله أن يخوله الحق في إنفاق سبعة مليارات من الدولارات (أي نحو ألفي مليون من الجنيهات) لتنفيذ مشيئة الشعب الأمريكي في مساعدة الحلفاء . وهذا القدر من المال لا يقل كثيراً عما تنفقه بريطانيا على الحرب في مدة أشهر .

إن هذه الحرب الحديثة الميكانيكية لا تعتمد على الرجال وحدهم ، بل عمادها قبل كل شيء الصناعة الحربية والآلات الحربية المدمرة . ويقول الثقات إن كل جندي يحارب في الميدان لا بد أن يكون من ورائه أربعة أشخاص يعملون دائبين لتزويده بما يحتاج من سلاح وذخيرة . فمنذ اليوم يعمل الشعب الأمريكي لتزويد الأمم التي تدافع عن كيانها ، وفي طليعتها بريطانيا العظمى ، بما هي في حاجة إليه من سفن ومدافع وطائرات ودبابات وما إلى ذلك .

ولقد بادر الرئيس روزفلت ، بعد إمضاء ذلك القانون مباشرة ، إلى المطالبة بتلك المليارات ، لكي يثبت أن أمريكا مصممة على أن لا يظل هذا القانون حبراً على ورق ، وأن لحظة واحدة لن تضيع في إبراز تلك المساعدة في صورة كاملة واقعة . وقد ارتفع إنتاج الطائرات في أمريكا إلى ألف طائرة في الشهر ، وهو رقم يزيد كثيراً على ما كان مُقدراً من قبل .

* * *

في الناس من يظن أن أمريكا قد قضت وقتاً طويلاً قبل أن تتخذ هذا القرار الحاسم . ولكن علينا أن نذكر أن كثيراً من قادة الرأي في أمريكا قد جنحوا إلى خطة السلم والتفاؤل والاطمئنان ، حتى بات أكثرهم يتوهم أن أمريكا بنجوة من أي عذاب يحيق بأوربا . وأن المحيط الواسع العريض كفيل بأن يحمل كل شر يجتاح العالم القديم بعيداً كل البعد عن العالم الجديد . وصاح صائحهم : دعوا أوربا وما بينها من أضغان وأحقاد ودعوا المنافسات الاستعمارية ، وقلة الإنصاف ، واضطهاد بعضهم لبعض ، ولقد ساعدناهم في حربهم الأولى ، فكان جزاؤنا ضياع المال والأرواح دون أن يكون لهذه التضحيات أثر يذكر !.

وبذلت الدعاية الألمانية جهوداً جبارة من أجل تنظيم هذه الآراء ، حتى استمالت إلى جانبها فريقاً من قادة الرأي في أمريكا ، مثل الطيار لندبرج وزوجه الألمانية الأصل ، وكلاهما كاتب لبق ، وداعية بارع . وفي أمريكا جالية من الألمان المتعصبين خاصة ، عدد من الألمان يقدرون بالملايين ، هاجروا إليها قديماً وحديثاً واستوطنوها . وأعدت حكومة ألمانيا إدارة خاصة لتنظيم هذه الجماعات ، وبثت رسلها في جميع أنحاء أمريكا ، لتقسيم هذه الطوائف إلى فرق منظمة ، مهيأة لكل عمل قد يطلب إليها أن تقوم به .

ورأى النازيون أن في الحصانة التي يتمتع بها رجال السلك السياسي والقنصلي ، وسيلة بديعة لحماية نشاط الدعاة الذين يعملون لمصلحتهم ، فزادوا عدد هؤلاء الرجال زيادة هائلة في الأشهر السابقة للحرب ، وبعد بدء الحرب مباشرة . ففي نيويورك ارتفع عدد رجال القنصلية من ٣٨ إلى ١١٦ ، وقد ألحق بالقنصلية « قسم سياسي » وهو أمر لا يعرف له نظير في أي بلد من بلاد العالم .

وفي فيلادلفيا كانت أعمال القنصلية الألمانية في يد عامل أمريكي يقوم بها في أوقات الفراغ . أما اليوم فيتولى

أمرها قنصل نازي وله أعوان وحاشية . هذا في الوقت الذي نقصت فيه الأعمال التجارية بين ألمانيا وأمريكا إلى درجة تقرب من العدم .

ولعل أغرب هذه القنصليات جميعاً ، قنصلية سان فرانسسكو ، فقد ارتفع عدد رجالها من ثمانية إلى ثمانية وعشرين . وعلى رأسهم فرتس ويدمان صديق هتلر الشخصي . ولهذا الرجل الزعامة الإدارية على جميع رجال السلك السياسي والقنصلي في أمريكا الوسطى والجنوبية . فميدان نشاطه ينصب على الجانب الغربي من الولايات المتحدة ، وجمهوريات أمريكا اللاتينية . وفي شهر أبريل من العام الماضي استطاع شخص يدعى بوش أن يستقل بالحكم فترة من الزمن في جمهورية بوليفيا ، فصفقت الصحف الألمانية وهللت ، ونوهت بأن هذه « رائعة أعمال ويدمان المجيدة في أمريكا » .

ويبدو نشاط ويدمان في القصة الآتية نسردها هنا لدلالتها على عمله الذي اضطلع به :

علم قلم المخابرات الأمريكي أن أحد رجال الأعمال ويدعى هربرت هوبس يحاول السفر جواً بحقيبة تشتمل على وثائق خطيرة . فداهمه رجال ذلك القلم وهو يحاول ركوب الطائرة في مطار لوس انجليس . لم يكن ذلك الرسول من رجال السلك السياسي ، ولكن الحقيبة التي معه كانت مختومة بخاتم سياسي لا يجوز فضه . فتردد رجال البوليس الأمريكي في فتح الحقيبة ، واتصلوا بوزارة الخارجية الأمريكية . وهذه لم تستطع أن تبت بسرعة في فض هذا الخاتم المقدس . وفي أثناء هذا التردد حضر رسول من قبل ويدمان مزوداً بالوثائق الدبلوماسيـة اللازمة ، واستولى على الحقيبة ، وركب طائرة أقلته بحقيبته إلى بلاد المكسيك .

وفي وسعنا أن نورد أمثلة عديدة لأعمال رجال السلك القنصلي النازي في أمريكا ، ولكن حسبنا ما أوردناه دلالة على هذا النشاط الهائل ، الذي لم يتورع عن الانتفاع بالحصانة السياسية لبث ما يشاء من دعاية هدامة . وكانت هذه الدعاية تعمل أول الأمر لعزل أمريكا عن الحروب ، ويرجع إلى نشاطها كثير من الفضل في قوة أنصار العزلة واتساع نفوذهم . ولكن هذه الدعاية لم تقف عند هذا الحد . فليس بمعقول أن حوادث التخريب التي حدثت في بعض المصانع الخطيرة في الولايات المتحدة بعيدة عن مجرى نشاط هذه الطائفة[1] .

* * *

بدأت الحرب إذاً وأمريكا مخدرة تخديراً عميقاً بدعاية السلام والاطمئنان . ولقد درعت نفسها قبل الحرب بسن قانون حظر المتاجرة في المواد الحربية مع الدول المشتبكة في قتال ، لكي تبعد عنها أقل احتمال لخوض غمار الحرب . وهذا القيد الذي تقيدت به أمريكا طائفة عشرين ، كان أول عقبة في سبيل بذل المعاونة اللازمة للحلفاء . وكانت الحكومة الأمريكية أسرع إلى إدراك حقيقة الموقف ، وإلى أن قضية الحلفاء هي قضيتها ، وإلى أن ما يتمتع به أمريكا من سلام واطمئنان يرجع أكثره إلى وقوف الديمقراطيات الغربية في سبيل الطغاة . هذه حقائق كانت حكومة روزفلت أسرع إلى إدراكها من الشعب الأمريكي ، الذي عشق السلم وهام به ، وبات في حالة يأبى معها أن يفتح عينيه للخطر الداهم . هنالك أدركت تلك الحكومة الحكيمة أنها لابد لها أن تسير في طريقها المنشود ببطء ، وأن تفتح عيون شعبها برفق . فكان أول عمل قامت به السعي في رفع الحظر عن إصدار المواد الحربية ، وطمأنت الشعب الأمريكي إلى أنه لن يضحى في هذا بشيء ، وأن هذا لن يقدمه من الحرب خطوة ، بل يبعده عنها .

وحين تم لها هذا ، أنشأت تجارتها في المواد الحربية وغيرها على قاعدة أن من أراد أن يشترى منها شيئاً فعليه

(١) من شاء الاستزادة من هذا الموضوع فعليه أن يراجع بعض المقالات في عدد ديسمبر الماضي من المجلات الأمريكية ، Current History و Forum وهي ملخصة في ريدرز دايجست .

أن يحضر إلى الموانئ الأمريكية ويدفع الثمن ويحمل البضاعة. ثم أعلنت الحكومة أن هنالك بحاراً وأقطاراً لا يجوز للسفن الأمريكية أن تدنو منها. وبهذا عطل كثير من السفن الأمريكية، وأرهقت سفن الحلفاء بنقل البضائع، واستنفد الشراء النقدي الأكثر من الأموال التي تملكها الحلفاء بأمريكا.

وكانت هنالك صعوبة داخلية تواجه الرئيس روزفلت، قد غلت يده فترة من الزمن عن بذل كل ما يستطيعه من العون لقضية الديمقراطية. ذلك أن موعد الانتخابات لرئاسة الجمهورية العظيمة قد حل. والشعب الأمريكي يعلم أن ليس بين أبنائه من هو أقدر من فرانكلين روزفلت على إدارة هذه السفينة الهائلة، وسط تلك العواصف والصخور التي ليس للعالم بمثلها عهد. ولكن الشعب الأمريكي شديد النفور من أن ينتخب رجلاً لرئاسة الجمهورية ثلاث فترات متتالية! وقد أصبح هذا التقليد سنة مقدسة لم تخرج عنها الأمة الأم[illegible] وفي أي وقت. ولكن الحقائق الأليمة [illegible] كانت أقوى من كل تقليد وعرف. [illegible] زعيمه القدير، رغم دعاية الدعاة، وتألب الصحف الأمريكية، التي لم يكن بينها من أنصار روزفلت سوى عدد قليل.

وكانت ألمانيا تعلق أهمية كبرى على حالة الارتباك التي تسود السياسة الأمريكية بسبب هذه الانتخابات؛ فإذا هي تمر بسلام، وإذا الشعب الأمريكي يتحول بالتدريج من سياسة الامتناع الخداع، إلى سياسة الإدراك لحقيقة الخطر الداهم. فإذا هو يمنح ثقته التامة لزعيمه. وإذا هذا الزعيم نفسه ينهض بمهمته ويعلو بها على الاعتبارات الحزبية، فيولي وزارة الحربية والبحرية رجالاً من حزب غير حزبه. وإذا هو يلتمس معاونة خصمه في الانتخابات، فيمد هذا الخصم إليه يداً قوية مسروراً. فيبدو الشعب الأمريكي في صورة من التضامن والتآزر، واليقظة التامة، والإدراك الصحيح للخطر، التي لا بد له أن يضطلع به. وهذه الحالة تريبا انقلاباً هائلاً في الرأي العام الأمريكي، إذا قورنت بما كان يسود هذا الرأي من قلة المبالاة في مفتتح هذه الحرب الطاحنة.

والآن وقد تهيأ الرأي العام الأمريكي لبذل أقصى مساعدة يستطيعها لنصرة الديمقراطية، تتقدم الحكومة إلى برلمانها بمشروع التأجير والإعارة، فلا يلبث هذا البرلمان أن يوافق على ما تطلبه الحكومة. وبمقتضى هذا القانون الجريء تستطيع الحكومة أن تمد الدول التي تدافع عن كيانها بجميع ما تتطلبه الحرب الحديثة من سلاح وعتاد، دون أن تطالب بثمن عاجل. ولا تكتفي أمريكا بأن تسخر مصانعها الضخمة لهذه الأعمال، بل تضمن وصول هذه الأسلحة والذخائر بأن تحرسها قطع من الأسطول الأمريكي عبر المحيط. ذلك لأن هذه القطع ملك لأمريكا وهي إنما تؤجرها أو تعيرها. فليس بمعقول أن [illegible] أمريكا عرضة للعدوان.

• • •

[illegible] في أن كلا الفريقين يتخذ أهبته لمجهود حربي خطير في الربيع المقبل. ومن حسن حظ الديمقراطية وأنصارها أن يحسوا، ونحن في مقتبل الربيع، أن الولايات المتحدة، قد خطت هذه الخطوة الواسعة لشد أزر الدول التي تبذل جهدها في دفع ما يهددها من البغي والعدوان.

محمد عوض محمد

إلى الأستاذ أحمد أمين بك

من الأستاذ أحمد الزين

لقد حيرتْ أيّها يرتضي — حيوتَ بها أم حيوتَها به

عليّ، إن تلد ما يتقي — وما عزّ من ليس بالمتقي

لقد لمتَ ما تشتهي من ثمار — ولا بأس الغمرُ ما يشتهي

في الطفولة المشردة

للأستاذ عبد العزيز البشري

من بضع ليالٍ تحدّثت محطةٌ من الراديو عدداً من الأحاديث القيمة والأزجال الطريفة التي أُلقيت في حفلة (الطفولة المشرّدة) وما إن انصرف الراديو إلى إذاعة أخرى ، حتى شغل حديثُ هؤلاء الأطفال المشرّدين ذهني ، وملك عليّ نفسي .

هذا بصري يتعثّر فيهم في كلّ شارعٍ من شوارع القاهرة ، وكلّ جادّة من جاداتها ، وكلّ زقاق من أزقتها . لا يخلو منهم مكانٌ ، في ليل أو في نهار !

ناحلو الأجسام ، بادو العظام ، حتى كأنما شُدّت الجلودُ عليها شداً ، لم تفسح بينهما لغير العروق مسلكاً . وهذه وجوهٌ مُقشعرّة ، كأنما بُعثرت … وهذه عيونٌ حيرى ، لا تكاد تقع … مسرعة ، خشية أن يقترب بها المكروه ، ومن الناحية الأخرى ، فهي في فزعٍ دائم وورعٍ مقيم . وألفة الوثب والتواري خلف الجدران ، تحسب كلّ صيحةٍ عليها . ولا تحسب عيناً مفتوحةً إلا تُشعيها ، ولا رِجلاً ماشيةً إلا تركلها ، ولا يداً مرسلةً إلا انتهباً للبطش بها !

ولقد تحسب ، في بعض الحين ، أنها أصابت من هذا المدوّ (جمهرة الناس) الثرّة ، ووافقت منه الغفلة ، فسرعان ما تنقض انقضاض العُقاب على عُقب سيجارة . فإذا هي التقطتها ولّت مسرعةً تضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فراراً من الطالب الذي ليس له انتهاء ! ولقد تراها في تلك اللحظة ، لحظة الأمن ، وهي تنبش الزِّبل في وعاء القمامة في بعض الطريق ، لعلها تصيب كسرة أو فضالةً من طعام !

هي أشباحٌ تغدو وتروح ، كأنها أضغاثُ حلمٍ ثقيل ! وكثيراً ما تسمع منها سُعالاً ينبئك عما يمزّق الرئة ويقطع منها إلى الضلوع !

جِرمٌ مُعينٌ أخبث الأمراض ، عليه خرقة تحمل بذور أفتك الأمراض . فشأنه شأنُ خيشٍ من المشمع قد اشتعلت فيه النار ، والرياح تذرّي شرره هنا وهناك ، فلا تأتي عليه النار إلا وقد انتشرت في كل ما حولها من الأشياء .

مخلوقاتٌ ممدّدة . وهي في الوقت نفسه حشراتٌ سامّة ، تمشي العلل والأدواء في جماعات الأحياء .

* * *

والآن يحسن بنا أن نُلمّ إلمامةً يسيرة بالناحية الخلقية من هؤلاء الأطفال المشرّدين . فليس الخطبُ في الصحة بأشدّ من الخطب في الأخلاق . وأنت خبيرٌ بأن هؤلاء لا يخرجون إلا من أحطّ البيئات ، وأشدها جهلاً ، وأعظمها إمعاناً في الفقر والإعواز . وهل يحملهم على عيش التشرد إلا أن كافليهم قد ضاقوا بهم ، وضاقت أيديهم عما يرزقهم ويجمع شتاتهم ؟ ولقد يكون هؤلاء المتكفلون ، من الآباء أو الأعمام أو الأخوال أو الإخوة الكبار أو أزواج الأمهات — قد يكونون ممن يؤثرون الدّعة ، ولا يجشّمون النفس سعياً ، فلا يرون إلا أن يتركوا هؤلاء الأطفال في الطرق ليتسولوا ويجمعوا أعقاب السجاير ، ويسرقوا من جيوب الغافلين ما تطوله أيديهم ، ليظلوا هم في أوكار الأكواخ ناعمين هانئين !

لم تقع قط عين محقق من هؤلاء على دين أو على

خلق أو قانون أو أي شيء من آداب السلوك في هذا العالم ؛ فهو إنسان ، إن صدق هذا التعبير ، مفقود الضمير .

هو مخلوق لا يفرق بين الخير والشر ، ولا بين الفضيلة والرذيلة . ولا يميز الحرام من الحلال ، ولا يعرف ما يسوغ في العرف وما لا يسوغ . وإذا كان مسوقاً ، بحكم الغريزة الحيوانية ، إلى ما يسد الجوع ، فإنه يلتمس القوت بكل ما يتهيأ له من الوسائل ، من تكفف وجمع ما يعود على شيء من أعقاب السجاير ، والتخصص من فضلات الطعام ولو في المزابل ، والسرقة ما وجد إليها السبيل . فإذا رأيته مكفوفاً عن السرقة والتلصص ، في وقت ما ، فما كان ذلك لأن له ضميراً يزجره ، ويخوفه عاقبة السرقة عند الله وعند الناس . بل لأنه يرى بعينه أن من يؤخذ في سرقة ، يعاقب بالحبس الرهق أو بالجلد الوجيع الأليم !

ولقد ترى هذا المخلوق ، إذا خلا بأمثاله ، يفخر بما اكتسب في يومه من الرذائل من سرقة أو غش أو إيقاع أذى بمن لم يلحقه منه أذى ، أو تسفل بما لا [illegible] السبيل . يفعل هذا في زهو يشبه الاختيال [illegible]

فإذا رأيت هذا منه فاعذره ، فهو لا يدري البتة أنه مجرم ، بل إنه لا يدري البتة ما الإجرام !

وبعد ، فإذا جاشت في صدر هذا المخلوق عاطفة ، فالحقد الشديد على هذا المجتمع (الأثيم) الذي لا يملك يؤذيه أو يحاول أذاه أنى وجده ، ويجهد في الحيلولة بينه وبين السكيرة تمسك بها الرمق ، ولو التمسها في وعاء المرحاض ، ويضن عليه حتى بالضجعة في ظل جدار على عذار الطريق !

هو مملوء حقداً واضطغاناً على هذا المجتمع . ولو وجد السبيل لحرقه بنار السعير . فإذا كتبت السلامة من المال لهذا الشقي الصغير ، وقدر له أن يشب ويكبر ، فانظر أي صائل فاتك من هذا الغلام يكون ؟ فإنك حاشا له أن يزجره من أعظم الإجرام زاجر من ضمير أو من دين أو من رحمة أو من قانون !

* * *

وبعد ، فإن هذا الصنف من الأطفال يشتملون ، مع الأسف العظيم ، نسبة غير يسيرة من مجموع الأمة . فلا ينبغي أن يرهبنا اطراد الزيادة في العدد ، إذا كان قدر عظيم من الزائدين من هذا الطراز !

على أنه لو تيسر لنا أن نسقط جميع هؤلاء من التعداد ، لأنه لا جدوى منهم على الأمة ، بل لأنهم غير أكفاء للحياة . لو تيسر لنا أن نسقطهم من الحساب لهان الخطب ، ولكنهم في جسم الأمة عضو مناكل ، لا يلبث أن يتعدى بالفساد وأسباب العطب إلى ما حوله من الأعضاء . فهم أداة متنقلة جوالة لنشر الأوبئة في الصحة وفي الأخلاق . إلى ما يؤذون به غيرهم من السرقة والعدوان .

إذاً فكيف الحيلة في دفع هذا البلاء الكبير عن البلاد ؟

[illegible] الأمر أن العلاج الناجع في أن تبث الجمعيات وتجمع الأموال لتلتقط هؤلاء الفئة من الطرق والأزقة ، وتحشرهم في الملاجئ والمصحات .

نعم ، ليس يجدينا هذا كثيراً في دفع هذا البلاء ، ما دامت هذه البيئات قائمة على هذه الصورة ، وما دامت الأرحام فيها تدفع الأطفال من غير حساب !

إن الداء لا يحسم بتلقط هؤلاء المشردين وحشرهم ذلك الحشر ، مهما تهيأ لنا الملاجئ وتحصل في أيدينا من جلائل الأموال .

لست أزعم أن إنقاذ هؤلاء الأطفال بإيوائهم إلى الملاجئ ، وتعليمهم ما يفتح عقولهم ، ويثير بصائرهم ، ويوقظ ضمائرهم . وتمرينهم في ألوان من الحرف تحميهم إذا تعدوا إلى ميدان الحياة — لست أزعم أن هذا القدر لا يجدي ولا يفيد . بل أزعم أنه يفيد بعض الفائدة . على أن هذه الفائدة لا تعدو تلطيف المرض ، ولكنها

مآسي شكسبير

للأستاذ محمود محمود

كان شكسبير في شبابه يستوحي كتب التاريخ، يخرج من بطونها مادة يبني عليها مسرحياته، وكان في أيامه الأولى مرحاً طروباً تتوفر فيه صفات الشباب، لا يشعر بعبء الحياة ثقيلا على كاهله كما يحس به الشيوخ المسنون. كان خالي البال، لا يبيت على هم، فأنشأ «ملاهيه» الشهيرة، التي ستبقى على وجه الدهر ما بقي الزمان.

وما إن تقدمت به السن قليلا، حتى تأججت في نفسه ثورة عنيفة على الحياة، وتملكته روح التشاؤم، وأصبح ينظر إلى الحياة نظرة قاتمة مظلمة، فقد خانه الحبيب، وغدر به الصديق، ومات أبوه، فامتلأت نفسه عليه هماً وحزناً، أو لفها سحابة سوداء [illegible] وران على صدره، لأن الشاعر – كغيره من الناس، بل وأكثر من غيره من الناس – قد يستولي عليه اليأس والقنوط لداع أو لغير داع، فينضب معين المرح في نفسه، وينظر إلى العالم بمنظار قاتم أسود، ولا يرى فيما حوله بهجة ولا يرى سروراً، وإنما الدنيا كلها أمام ناظريه شر وبؤس وموت وفناء.

في هذه الفترة القاسية من حياته أخذ شكسبير يخرج المأساة تلو المأساة، فكانت مسرحياته: يوليس قيصر، وهاملت، وعطيل، والملك لير، وماكبث، وأنطونيو وكليوبترة، وليدات هذه النفس الثائرة، وذلك المزاج [illegible].

وفي «المأساة» يعرض لك شكسبير كثيراً من الشخصيات، ولكنه لا يقصد في الواقع إلا إلى شخصية واحدة فقط، وتلك هي شخصية البطل. فهي شخصية بارزة لا تدانيها في المأساة غيرها. ولا يشترك في هذا المقام الرفيع – مقام البطل – اثنان، اللهم إلا في قصة (أنطونيو وكليوباترة) حيث تكاد كليوباترة أن تنافس أنطونيو في مكانته.

والمأساة في جملتها مجموعة من الحوادث تتضافر على الوقيعة بالبطل حتى يموت. فالمسرحية التي لا يموت فيها البطل ليست من المآسي عند شكسبير. وتعرض عليك المأساة كذلك ما يعاني البطل من صنوف المتاعب والمشاق، لأن البطل عند شكسبير لا يموت مصادفة أو فجاءة وهو يتربع على عرش العز والسلطان. إنما المأساة قصة كارثة وآلام تؤدي في نهايتها إلى الموت.

لا تحسم العلة ولا تجتث جرثومة الداء.

إن من تدفع الأرحام كل يوم من هذه البيئات هم أضعاف أضعاف من يستطيع الخيرون السعي إلى إنقاذهم على هذا الوجه، بحيث يرى المصلحون أن سيلهم سيظل متدفقاً على الزمن لا ينقطع له مدد.

والرأي الذي أرى، أن يبدأ المصلحون العاملون ببحث هذه المشكلة الخطيرة من عند أولها، لا من عند آخرها، بالنظر في رفع المستوى العقلي والصحي في تلك البيئات الوضيعة، وتقييد الزواج بالقدرة على كفالة الولد، أو السعي إلى منع تسرب الولد إلى هذه الحياة، ما دامت هذه سبيله في الحياة. على أن يجيز ذلك أئمة الشرع الكريم. ولا ضير، بل من الخير أن يظل هذا الإنقاذ قائماً حتى يكتب لجسم الأمة البرء والشفاء، من هذه العلل والأدواء.

عبد العزيز البشري

ولا بد أن تكون الكارثة عظيمة ، والصريع عظيماً ، شهد في حياته أياما نضرة يانعة ، وعهداً رخياً سعيداً . وليس من المأساة في شيء عند شكسبير أن ينحدر الرجل إلى قبره شيئاً فشيئاً من جراء الفقر أو المرض أو تافه الأخطاء .

الكارثة العظمى عند شكسبير هي التي تستحق منا الاشفاق ، وهي عنصر أساسي للمأساة . والبطل عنده لا بد أن يكون رفيع المقام ، فهو ملك ، أو أمير ، أو زعيم ، أو على الأقل من أسرة كريمة مصيرها مما تهتم له عامة الناس .

ثم إن الحب المقطوع ، والضمير المعذب ، وغدر الصديق ، وما إليها ، هي في وقعها وآلامها عند الحقير والأمير سواء . ولكن شكسبير لا يرى هذا الرأي ، لأن قصة الأمير أو الزعيم لها روعة وجلال لا يتوافران في قصة الرجل الساذج ، الذي لم يكن له من الأمر مكانة يغبطه عليها الناس ، أو تشخص إليه الأبصار . ومصير الأمير — فوق ذلك — قد يكون له أثره في رفاهية أمة بأسرها وشعب بأجمعه . وفي سقوط الرجل العظيم من شاهق العظمة إلى سحيق القبر ، ومن الذهب والرياش إلى التراب والطين ، مشهد رائع من مشاهد التباين الشديد بين عجز الانسان وقدرة الله ، وهي صورة لا تعدلها حياة الرجل من عامة الناس مهما جلت مصيبته .

المأساة عند شكسبير إذاً هي قصة كارثة مفجعة تؤدي إلى موت رجل ذي جاه عريض ، ولكنها لا تقف عند هذا الحد ، فالكارثة التي تحل بالرجل دون أن تكون لها علاقة بما قدمت يداه ، أو بما اقترف من إثم ، لا تكفي وحدها أن تكون مادة المأساة ، لأن كوارث المأساة لا تقع مصادفة واتفاقاً ، إنما تحل بالفرد جزاءً له وفاقاً على ما قام به من فعال .

هذا عمل القوم به يؤدي بك إلى عمل آخر ، ثم إلى آخر ، وهكذا ، حتى تقع الواقعة كحلقة أخيرة من سلسلة متصلة الحلقات . فبطل المسرحية إذاً عند شكسبير هو نفسه سبب من أسباب ما يحل به .

ولكن شكسبير — مع هذا — لا يرى أن التبعة كلها تقع على كاهل البطل وحده ، بل إن هناك عوامل أخرى لها أثرها ، ولا تخضع لإرادة الانسان ؛ فالبطل كثيراً ما يكون مصاباً بضعف في عقله ، أو بلون من ألوان الجنون ؛ ومن العسير أن نحمّل المجنون تبعة ما يعمل . ولكن الفعال التي تنجم عن الجنون ليست وحدها في مأساة شكسبير سبباً في المصيبة ، بل لقد تكون المصيبة سبباً فيها ، كما نرى في قصة الملك لير ، حين تنكر البنات على أبيهن الجميل ، فيصعق الرجل ، ويجن جنونه ، ويطير صوابه ، ويقترف بعد هذا من الأخطاء ما [illegible] نفوسنا الشفقة عليه . وكذلك [illegible] شكسبير متزن العقل في أول الرواية ، ولكنه يصاب بالخبل والهوس فيما بعد .

ويُدخل شكسبير كذلك في مأساته عنصراً فعالاً يعمل في القضاء على حياة البطل دون أن يكون للبطل فيه يد ، وهو عنصر خارق للطبيعة ، كالأشباح ، والسحرة الذين يعلمون ما لا يعلم الناس . ويقول بعض الناقدين إن هذا العنصر إنما هو إخراج ملموس لما يدور في خلد البطل من أوهام مستترة ؛ فهو على هذا دليل على أن البطل مسئول عما يحل به . ولكن (برادلي) لا يرى هذا الرأي ، ويزعم أن هذه الأشباح ، وذلك السحر ، إن هي إلا تمثيل لعوامل خفية لها أثرها في حياة الناس ، ولا حيلة لهم بها . ولكنه يزعم كذلك أن هذه العوامل الخفية عند شكسبير تؤيد نزعة باطلة عند الانسان .

وكذلك يضع شكسبير في مسرحيته في المجال الأول

« الصدفة » . فمن المصادفة أن روميو لم يتسلم رسالة الكاهن ، وأن جولييت لم تبكر دقيقة واحدة فى يقظتها بعد سباتها الطويل ، وأن (أدجر) فى رواية « الملك لير » وصل بعد موت (كرديليا) بدقائق معدودات ، فلم يستطع إنقاذها . ومن المصادفات أن يهاجم القرصان سفينة هاملت فيعود إلى الدنمارك . وليس من شك أن من المأساة أن تكون حياة الإنسان معلقة بحادث مصادف غير متوقع ولا منتظر :

ولكن هذه العوامل الثلاثة — الجنون ، وقوى السحر ، والمصادفة — عوامل ثانوية فى المأساة ، لا تقاس فى أهميتها إلى العامل الأول ، وهو شخصية البطل ، وما ينجم عنها من عمل .

ومأساة شكسبير تمثل دائماً صراعاً بين جانبين ، يكون البطل زعيم واحدة منهما ، أو قل — إن أردت — إن المأساة تمثل صراعاً بين عاطفتين ، أو فكرتين ، أو نزعتين ، صراعاً يدفع بجماعتين مختلفتين إلى السير فى طريقين متباعدين . وينتمى البطل إلى إحدى هاتين الجماعتين . فحب روميو وجولييت لا يتفق وما بين أسرتيهما من عداء . وقضية بروتس وزمرته تعارض قضية قيصر وأتباعه . وما كبث وزوجه يحاربان دنكان . وفى كل مأساة لشكسبير تستطيع أن تقسم الأشخاص إلى فريقين متعارضين ، تنتهى المحاولة بينهما دائماً بهزيمة البطل .

وكثيراً ما يكون هذا الصراع فى نفس البطل ذاته ، فيبيت ضحية لفكرتين مختلفتين تملكان عليه نفسه . بل إن خير ما يصوره لنا شكسبير فى مأساته هو هذا الصراع الباطن فى نفس البطل . ولا يكفى عند شكسبير أن يكون البطل رجلاً عظيماً بين شعبه وذاته ، وإنما هو كذلك عظيم فى طباعه وخصاله وهو فى هذا يرتفع عن مستوى العامة . وليس معنى هذا أنه رجل شاذ فى تصرفه ، أو كامل فى خلاله . إنما البطل يمثل فى صفاته صفات القارئ وصفات من يحيط به من رجال ، ولكنها صفات مجسمة إلى درجة قد لا تتوفر فى رجل من غمار الناس . ومن الأبطال من تبلغ عنده هذه الصفات حدود العبقرية كهاملت وكليوبترة . ومنهم من تبلغ عنده الرغبة أو الإرادة قوة عظيمة . ولكنهم جميعاً يتميزون بالهوى ، وبالتحيز ، وبالميل فى الحياة إلى جانب واحد دون الجوانب الأخرى . والبطل دائماً عاجز كل العجز عن مقاومة هذه النزعة أو ذلك الميل . وهى خلة تدعو إلى التأسى والاشفاق . وأنت تلمس هذه النزعة مثلا عند روميو العاشق المفتون ، الذى لا يتميز عن عامة الناس فى شىء غير حدة العشق وحرارته . وفى هذه العاطفة من غير شك مظهر من مظاهر العظمة ، رغم أنها قد أودت بصاحبها إلى الموت .

والمأساة عند شكسبير تمثل صراعاً ينتهى بكارثة ، وهو يقسمها خمسة فصول : يعرض فى أولها الظروف التى ينشأ منها الصراع ؛ ويقدم لنا الشاعر فى هذه المرحلة شخصيات المسرحية ، ويبين لنا ما بينها من علاقة ، ويعلق فى النظارة تشوقاً إلى ما عساه أن يقع لهؤلاء الأشخاص . ويمثل فى الفصل الثانى جانب الشر فى الصراع متغلباً على جانب الخير . وتتعقد الأمور حتى تبلغ شدتها فى الفصل الثالث . ثم تأخذ فى الحل ، وتنقلب الأوضاع ، وينهزم فى الفصل الرابع جانب الشر أمام جانب الخير . ولكن هذا النصر للخير له ثمنه ، وله تضحياته ، فتعرض لنا المسرحية فى الفصل الخامس موت البطل ، وهو أفدح الكوارث عند الكاتب كما رأينا .

ولشكسبير فى مسرحياته حيل فنية كثيرة ، لا يتسع مقال واحد لبسطها ، ولكنا نكتفى بالإشارة إلى بعضها .

ومن بين هذه الحيل أنه كثيراً ما يجعل من بين شخصيات الرواية (نديماً) يرسل النكتة بين الحين والحين، وهو يرمي من وراء هذا إلى أن لا يكون وقع المأساة على النفوس ثقيلاً شاقاً، تضيق به أنفس السامعين، وإلى أن يدخل على قلوبهم شيئاً من السرور بين الفينة والفينة، لأن الطبيعة الإنسانية لا تحتمل دوام الأسى ساعات متواصلات.

ومن حيله كذلك أنه يروي إلى جانب القصة الكبرى قصة صغرى، تسير حوادثها جنباً إلى جنب إلى جوار القصة الأولى، وتشابهها في نموها وتطورها. وغرض المؤلف من هذا أن يؤكد للسامع بطريقة فنية ما تنطوي عليه المأساة الكبرى من أهداف وأغراض.

* * *

وبعدما ينقضي دور المآسي القوية عند شكسبير يعود ثانية إلى كتابة الملاهي، ومسرحيات الحب والخيال؛ وفي مسرحيات هذا العصر نرى الشاعر أكثر من ذي قبل تفاؤلاً. ففي هذا الدور من أدوار الرواية المسرحية يحب الناس بعضهم بعضاً، ويؤوب الحبيب الراحل، ويعفو العدو عن العدو، ويتوب الخاطئ، ويأتلف الزوج والزوج، والآباء والأبناء، والصديق والصديق. ولكن شكسبير لم يكن — رغم هذا — مرحاً كما كان أيام شبابه: فبعد أن كان يقهقه بقلب فارغ نراه الآن يبتسم مفكراً بل ومكتئباً. فهل كلّت روح شكسبير من شدة المآسي؟ أم هل تقدمت به السن فشعر بشيء من هدوء النفس؟ أم هل هي حاجة الجمهور إلى شيء من اللهو بعد تلك المآسي المفجعة، أم هل كان شكسبير يقلد أديبين شابين أصابا حينذاك نجاحاً؟ إنا لا نعلم ذلك، فقد كانا من تلاميذه، ولم يتعلم شكسبير منهما شيئاً. وربما كان نجاحهما راجعاً إلى تفاؤلهما، وإلى أن المأساة لم تعد لها سوق نافقة. ومهما يكن من شيء، فقد تحول شاعرنا من المأساة إلى الملهاة؛ ومما كتب في هذه المرحلة «العاصفة» و «حكاية الشتاء» ...

* * *

ونحن بعد هذا كله نقف متسائلين: هل تنم مآسي شكسبير عن فلسفة له في الحياة، أو عن رأي خاص فيها؟ إن شكسبير ينثر في مسرحياته كثيراً من الحكم مما يغري القارئ إلى أن يعتقد أنه فيلسوف مفكر، له طريقة خاصة. وفي الحق أن شكسبير لم يكن بالفيلسوف، ولا ترتبط أفكاره برباط واحد، ولا تنخرط تحت كلٍّ منسق متحد. بل لقد يناقض بعضها بعضاً. ولكل من شخصياته، من الملك إلى النديم، فلسفته الخاصة. وكل منهم يحكم على الحياة حكمه الخاص. ويتعدد النظر إلى الحياة بتعدد الناس في هذه الدنيا. ومن هنا يرى رجال الدين في شكسبير مؤيداً لهم في عقائدهم، ولا يعدم الكفرة الملحدون في بعض ما ورد على ألسنة أشخاص المسرحيات ما يعزز إلحادهم وخروجهم على الدين.

ولكنا نستطيع أن نقول — رغم هذا — إن آراء شكسبير ترتبط بالأرض، ولا ترتفع إلى السماء. ولا نقصد أن الشاعر كان مارقاً على الدين، وإنما نعني أنه يجعل للحياة الدنيا المكانة الأولى في الوجود.

ولعل مسرحيات هذا الأديب لم تتسم بميسم الخلود إلا لأنها تقدم لنا شخصيات حية، نستطيع كل يوم أن نجد لها بين الناس أشباهاً ونظائر. ولا غرابة بعد هذا أن تنقل مسرحيات هذا الكاتب العظيم إلى اللغات الحية جميعاً. وإنا لنرجو أن ينقل إلى قراء العربية كل ما لم ينقل منها بعد.

محمود محمود

قصة عربية :

زنوبيـــــا

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

[كان أذينة الباسل أمير تدمر عاصمة الصحراء الغنية بتجارة القوافل ، وكان يحب صيد السباع ويستصحب في رحلاته امرأته الجميلة زنوبيا سليلة كليوبطرة ملكة مصر ، وكانت فوق جمالها عظيمة الذكاء والثقافة ، ويعلمها الفيلسوف لونجينوس . وأصيب أذينة في صراع أسد ، ومرض فجزعت لذلك امرأته ، ولم تجد في شدتها سلوى إلا عند وصيفتها المسيحية لبنى التي حببت إليها دين المسيح . ولما شفي أذينة جاءت إليه أنباء بهزيمة امبراطور الروم فاليريان وأخذه أسيراً عند عدوه سابور ملك الفرس ، فثار لذلك وهم بالاندفاع إلى الحرب ، ولكن امرأته نصحته بالتريث ، ونصحت إليه بإرسال هدية إلى سابور لاستمالته ، ففعل ذلك ولبث في تدمر ينتظر أنباء لقاء سابور لهديته وهو في قلق . ولما تأخرت عنه أنباء الهدية اشتد قلقه وضاقت نفسه ، فدفعه ذلك إلى الإيقاع بابن أخيه معن لهفوة صغيرة بدرت منه وهو يصاحبه في الصيد ، ثم جاءته الأنباء أن سابور ألقى هديته في الفرات وسبه سباً قبيحاً ، فغضب غضباً شديداً وعول على الانتقام من سابور ، وجهز لحربه ، وخرج إليه في جيش عظيم من العرب ، وبقيت زنوبيا وحدها في تدمر تحس وحشة شديدة وتثور في قلبها الشجون لفراق زوجها الباسل الحبيب]

ذهب أذينة إلى ريف فارس في جيشه العظيم يترقب حركة سابور في شوق إلى لقائه ، ولكن سابور كان لا يزال يضرب في دروب الروم يستولي على مدينة بعد مدينة ، ويوقع بجيش بعد جيش ، والامبراطور الأسير (فاليريان) يسير معه في ثوبه الأرجواني الكريم ، وقد أذله الأسر وأخزاه . وكانت أنباء سابور وأسيره تسير في الأرض يحملها الركبان إلى أذينة كلما مروا به في طريقهم قافلين إلى مدنهم ؛ فكانوا يقولون إن الداهل المنتصر يستصحبه في موكب ساخر ، ويعرضه على جنده في مظهر الذل ليتفكهوا بما صار إليه من هوان ؛ فإذا أراد الركوب جعله موطئاً لقدمه يعلو بها فوق عنقه المنحني حتى يعتلي جواده . فإذا سمع أذينة هذه الأنباء تحرق وثارت حفيظته ، وانتظر يوم اللقاء لعله يشفي غليله من ذلك الطاغية القاسي الذي أهانه وأهان صديقه الكبير ، وتمنى لو حملته الريح إليه ليفرغ فيه غيظه ، ولو والاه بعد ذلك أجله في قتاله . ولكن سابور قضى في حربه شهراً بعد شهر وهو يسير قدماً في سبيله نحو الغرب تاركاً وراءه معالم الخراب والهدم والقتل . فتلك أنطاكية تخر أطلالاً مدكوكة ، وتلك وديان كليكيا تغرق قراها في الدم المسفوح ، وهذه جبالها تهتز تحت جيشه العرمرم ، وهذا هو قد بلغ قيصرية وأفرغ فيها حقده وحطمها حتى كاد يزيل معالمها .

فلم يجد أذينة دونه غير ريف العراق يجوس خلاله حتى يعود إليه غريمه المتغطرس فيحتكم معه إلى السيف والقضاء .

ولم يكن في ريف فارس ما يطلب من قتال ، فإن حاميات القرى كانت كالقصبات الجوفاء يخبطها إذا اصطدمت به ، ويتم فيها إذا مرت منه ، فامتلأت يداه من الغنائم حتى أثقلت رحاله وعمرتهم الفتن .

ولكنه لم يذهب إلى فارس ليعود بالفيء من الذهب والفضة والطرف ؛ فكان كلما رأى أصحابه وقد أثقلتهم الغنيمة تزعزع وامتلأ قلقاً ، خشية أن يزهدوا في الحرب بعد أن ينالوا ما يزيد على آمالهم مما يشتهيه الأعراب في غاراتهم ؛

وبذلك عول على أن يقسم وقته بين الريف والصحراء ، حتى لا يألف جيشه الدعة ، ولا تبطره كثرة النعم .

وكان كلما عاد إلى الصحراء سرى عن نفسه القلقة بالصيد ، تاركاً قيادة الجيش من يثق فيهم من شجعان تدمر أو شيوخ القبائل ، وكان أكرمهم عنده زبدة بن دعيل من قبيلة (مجدة) وزباع بن مالك من بني فارة .

ومر عام طويل ولم يعد سابور من حربه ، حتى أخذ القلق مأخذه من أذينة ، ولم يستطع بعد صبراً ، وعول على أن يخترق فارس بجيشه في غيبة عاهلها ، ويخاطر مخاطرة لم يسبق لأحد سواه أن أقدم عليها ، وعزم على القصد إلى العاصمة طيسفون .

وكانت ليلة من ليالي آخر شهر القمر عندما جمع أصحابه من شيوخ الجيش ليعرض عليهم ما عزم عليه من الرأي . فدعاهم إلى خيمته الفسيحة بعد أن هجع الجنود ، ولم يبق من صوت إلا وطء أقدام الربيئة من حراس المعسكر ونباح الكلاب من القرى البعيدة ، وقد أرهفها ما أحست من قرب قوم أغراب .

ثم حدثهم بما يريد أن يهم به من قصد طيسفون ، وأفضى إليهم بما في نفسه من قلق إلى قتال سابور ، وأنه إن طامن تحت ملكه عرش ذلك الملك الأجوف واندك .
وأخذ أصحابه يجادلونه ويراجعونه ، وقد أكبروا أن يخاطر بنفسه وأصحابه مثل تلك المخاطرة في بلاد لا تزال سطوتها تخيف كل الأرض ، ولا تزال جيوشها تهز آفاقها .

وقام زبدة وكان أكثر قواده جراءة عليه فقال :

— لقد علمت أيها الأمير أننا أطعناك في كل موطن ، لم يتخلف عنك أحدنا في رأي . ونشهد أنا رأينا من توفيقك وسداد رأيك ما زدنا رغبة في دوام نصرك ، وتجنب عثرات الرأي عنك .

فقال أذينة وهو يجمع أطراف ثوبه :

— قل ما بدا لك يا أبا دعيل فإنك ميمون الرأي ، وحق شيبة القوم ما خالفتني في رأي إلا رأيت خلافك أحكم رأياً .

فخفض الشيخ بصره قليلا وتردد ثم استأنف قائلا في حياء :

— إن مسيرنا إلى ذلك الريف قد يحملنا على مركب وعر ، فإن خيولنا أسرع وثباً على الرمال ، ورجالنا أكثر اطمئناناً إلى البراح .

فساد الصمت حيناً على الجميع ، كأنهم يوافقون (زبدة) ونظر أذينة في وجوههم فتوسم ذلك فيها ، وأحس بنفسه تثور وشيء يشبه الغناء يملأ صدره . وقال بعد صمت قصير :

— لقد خرجنا للقتال يا أبا دعيل ، ولم نخرج لنكسب المغانم .

واحتمى زبدة بما في قول أذينة من سخرية ، وتحفز يريد الرد ، فأسرع أحد الشيوخ فاشرأب بعنقه من آخر الجمع يريد الكلام ، وأحب أذينة أن يحول الحديث عن زبدة خوف أن تبدر منه بادرة تعكر ما بينهما من الصفاء ، فقال مسرعاً يوجه الكلام إلى الشيخ :

— هلم يا أبا مالك ورأيك السديد .

فقام زباع بن مالك وضم عليه أثوابه . وكان شيخاً ضخم الرأس أصلعه قد اختلط البياض في لحيته بالسواد ، وكان وجهه الأبيض يلمع في حمرة وتتخلله أسارير عميقة الغور كأنها خطوط سوداء إذا ما وقعت عليها الأشعة الضئيلة المنبعثة من الشموع المتراقصة في جوانب الخيمة .
وقال في صوت عميق :

— قد علمنا يا ابن الأكرمين أنك لا ترى رأياً إلا إذا أوردته وأصدرته ، وقد بدا لي أنك قد طال عليك الانتظار

ولقد ملك الصبر . وأنك تريد أن تحمي ما هنالك ، فإذا رأيت الطريق وعرة أحجمت . فإذا كان هذا ما أردت فلا تغرر بالجيش كله ودع ذلك القوم منا يسبقونك . فإذا هلكوا كانوا فداء لك وللجيش ، وإذا نجحوا مهدوا لك طريق النصر . وكان لك أن تلحق بهم في عافية وأمن .

فعاد الصمت إلى الجميع مرة أخرى ، ونظر القوم إلى وجه أذينة ليتبينوا وقع قول الشيخ عليه ، وأطرق الأمير حيناً ، ولكن لم تخف عليهم سحابة ألمت به في جبينه ، دلتهم على أن قول الشيخ قد لقي عنده قبولاً ، وإن قطع عليه أملاً أثيراً كان يتطلع به مغرقاً إلى القتال . ثم رفع رأسه بعد قليل وقال :

— إذا أبيتم إلا ذلك كنت أنا مع السرية الثانية .

فرفع زباع يده وقال في شبه غضبة :

— ولكنك أيها الأمير منا في مكان الرأس من الجسم ، وإن هلكت انفض الجيش [illegible] فليذهب أحدنا لذلك ، وتبق أنت لتكون لنا ردءاً .

ثم ركز رمحه في أرض الخيمة ، ووقف رافعاً رأسه جامداً كأنه تمثال . فصاح الجميع في حماسة يوافقونه على رأيه ، واضطر أذينة إلى الإذعان .

وفي تلك الليلة تحركت الكتيبة نحو النهر لتعبر إلى الجانب الشرقي من الفرات ، وذهب على رأسها القائدان زباع وزبدة ليتشاورا في الرأي إذا اشتد الخطر في مغامرة مثلها جريئة . ومضى بعد ذلك أسبوع بعد أسبوع وأذينة في قلق ينتظر أخبار أصحابه من الشرق وأنباء فريسته سابور من الغرب ، والأيام تمر به بطيئة وهو يقاسي أشد ما يقاسيه المحترق إلى الانتقام .

ولكن أخبار أصحابه انقطعت عنه حتى كاد يجهل أي وجه ساروا إليه ، ولم تأت إليه إلا أنباء من أنطاكية وحمص وطرسوس أن سابور قد انكفأ راجعاً نحو الشرق بعد أن أصاب قيصرية بما أصاب به مدن الشام من قبل ، فدك حصونها واستباح أموالها وأهلها وأذل كبراءها .

وكان أذينة قد مله من قتال عندما بلغته تلك الأنباء ، فثار يستعد للقتال لا يهجع في ليل ولا يفتر في نهار ، وقلبه يهتز كأنه يترقب إقبال حبيب . ثم ثار بالجيش حتى اقترب من مخاضة الفرات التي لا بد لجيش سابور أن يعبر منها ، وكمن بجيشه متربصاً كما تنتظر الأسود الفرائس .

وسار أذينة على فرسه القائم في أصيل يوم ، يتطلع إلى الأفق ، وهو غارق في هواجسه وهمومه يتذكر [illegible] في ماضيه ، ويتأمل ما يلقاه في مستقبله . وكانت صورة [illegible] تتخلل تلك الذكريات جميعاً ، فهي التي قد [illegible] وجعلت له الحياة آمنة ، وهي التي قد عقدت لها [illegible] الانتصار وصارت له الزعامة في ملك الشرق .

وبينما هو في هذه الهواجس الصاخبة لاح له عند الأفق غبار ثائر كأنه سحابة صعدت هناك تنذر بريح عاصفة ، فوقف متلهفاً واضطرب قلبه ، ثم ركض فرسه ، فعاد إلى جيشه ليتخذ العدة للقتال .

وما أن انتصف الليل حتى كانت مياه الفرات تلمع تحت القمر الرقيق على الشمام ، وجنود الفرس يملأون جوانب الشاطئ ، وقد جثم بعضهم قطعاً مبعثرة على الأرض السوداء ، وقد أخذ بعضهم في الهبوط يطلبون العبور في السفن والقوارب والأرماث .

لم يضيع أذينة وقتاً ، بل ضم صفوفه وأوصى أصحابه أن يكتموا أصواتهم ، حتى إذا ما اقتربوا من النهر أشار إليهم إشارة معلومة ، فصاحوا صيحة واحدة ، وأهووا على الجنود الشرقيين وهم في غرتهم ، فاندفعت الخيول كأن

عليها جيشاً من الجان خرج من الظلام ، والتحموا بسواد الجيش الفارسي السلاحيف ، فلم يجد جنوده من الروع سبيلا إلى سلاح أو فرس ، وتدافعوا وتشتتوا يطلبون النجاة ، وصور لهم ضوء القمر وهم في ذعرهم أنهم قد أحيط بهم من كل جانب ، فاندفعوا في كل وجه ؛ ومن لم يجد مهرباً ذهب إلى الماء فألقى بنفسه فيه ، وأصبح الجيش كله كالقطيع أذهله الذعر ؛ فكانت مذبحة هائلة .

وسار جيش أذينة وراء الفلول في أطراف البر ، ومضت ساعة وجد فيها أذينة برد قلبه وتنفس ارتياحاً كأنه في النشوة التي يحسها فيما اعتاده من صيد السباع .

ولما فرغ من مطاردة الفلول عاد إلى الخافة فرأى جنوده يجمعون الغنائم ويقيمون منها أكداساً كأنها كثبان الصحراء ، فتبسم ارتياحاً ، وقلب وجهه فيما حوله ، فحانت منه لفتة إلى النهر ، فرأى كتلة مقتربة من خيل الفرس تقطع الفرات ذاهبة نحو الشرق في نظام وانتظام كأنها لم تكن بقية جيش منكوب .

فأخذته هزة من الدهشة ونظر إلى أصحابه يجمعون كنوز العدو ، وعادت إلى ذهنه ذكرى إخوانه الذين ذهبوا إلى الشرق وانقطعت أخبارهم عنه ، وأيقن أن هؤلاء يوشكون أن يذهبوا في أثر هذه الكتيبة الباسلة التي تجاهد مياه النهر بعد تلك الهزيمة الطاحنة .

وأحس عند ذلك بشيء يعصر قلبه عصراً ، فهمز فرسه واندفع نحو جموع أصحابه صائحاً في جماعة :

— هذه الغنائم لم تغن من عدوكم شيئاً

ثم تابع سيره مسرعاً إلى جماعة بعدها صائحاً :

— هذه الغنائم تنتظركم إذا نصرتم ، وتسلب منكم إذا كانت الأخرى

ثم عطف فرسه إلى فئة بعدها صائحاً صدمراً ممتعاً ، ثم اندفع نحو النهر ولم ينتظر مراجعة وصاح قائلاً :

— من شاء فليتبعني فإني مقاتل .

وانحاز قليلا إلى الجنوب ، وخاض في النهر وراء الكتيبة الفارسية ، فلما رأى جنوده ذلك حتى تدافعوا وراءه وكان سباقاً مجيداً ، وأخذ الرماة يرسلون السهام إلى الفرس وهم في وسط اللجة حتى أحسوا وقعها واضطرب أمرهم وفشا فيهم القتل ، وعرقل الرمى حركتهم حتى استطاع أذينة أن يصل إلى عدوة النهر قبلهم ، ووقف الجمعان مرة أخرى وجهاً لوجه على الشاطئ الشرقي وكل منهما يستعد ويستروح عازماً على الاستماتة في الوقعة التي لا مفر منها .

وبدأ النهار يتنفس وأخذت الأشباح تبدو واضحة في ضوئه الرقيق ، وظهرت مروج فارس اليانعة وبساتينها الناضرة كأنها قطعة من الفردوس ، فتأملها أذينة ملياً وهو يصف جنده ، وذهبت آماله إلى ذلك اليوم الذي تمتد فيه دولته إلى تلك الأرض الخضراء الجديرة بملكه وملك امرأته الباسلة الحكيمة زنوبيا ، وما إن ذكر زنوبيا حتى خيل إليه أنها حاضرة إلى جنبه تدعوه إلى القتال وتمده النصر ، فتشجع وتوكل على الله والتفت إلى جنده الذين كانوا يحاولون تخفيف تعبهم ، وصاح فيهم صيحته التي راعهم بها من قبل ، فاندفعت الكتلة العظيمة في أثره ودوى الفضاء بصرختها وثارت وراءها سحابة من الغبار حتى اصطدمت بالكتلة الفارسية الرابضة على نحو ميل منها على شاطئ النهر .

وتجاول الفرسان ، ووجد العرب من عدوهم صبراً واستبسالاً ، واختلط الجمعان وتشابكا ؛ حتى ما كان الرجل يعرف صاحبه إلا من صيحته أو ملبسه ، وكثرت في الجانبين القتلى والصرعى ، وترجح ميزان القضاء بين الطائفتين ، ونظر أذينة حوله فلم ير صفوفه المنتظمة ؛ ورأى ميداناً فسيحاً تتطارد فيه الفرسان ركوباً ، ويتناضل فيه من صرعت الأفراس من تحتهم ، فداخله الجزع ، ولم يدر كيف يستطيع أن يخرج بجيشه من ذلك الصراع العنيف الذي ما كان يحسب في الفرس طاقة عليه بعدما

العـــــرض والطلب

الدكتور محمد عبد الحميد بك

من القوانين الشائعة في علم الاقتصاد السياسي القانون المعروف بقانون العرض والطلب . وهو الميزان الذي تقدر به أثمان الأشياء ، وذلك بوضع كمية الأشياء المعروضة — أو السلع كما تسمى في عرف علم الاقتصاد — في كفة والمطلوب منها في الكفة الأخرى ، ثم الموازنة بين الكفتين . فإن كانت الرغبة في السلع شديدة ، والتهافت عليها عظيماً زادت قيمتها وارتفعت أسعارها . وإذا كانت الكمية المعروضة كبيرة والرغبة فيها قليلة قلت قيمتها وانخفضت أسعارها ، ولو كانت عظيمة الفائدة في ذاتها أو لو كانت تكاليف عملها باهظة . وأقرب مثال لذلك القطن المصري ، فإن زاد المعروض منه على حاجة الأسواق إليه انخفض سعره ، وتغير ما هي الحال إذا قل المعروض منه واشتدت الحاجة إليه ! حتى لقد روى بعضهم أن الصيد من العمال في أستراليا لما زاد عددهم ورخص ثمنهم رخص للأغنياء من الشبان أو للشبان من الأغنياء أن يقتلوا العزل منهم في لحومهم ورياضتهم ، حتى نقص عددهم فارتفعت أسعارهم . وما إتلاف محصول البن في البرازيل أو إحراق القطن في أمريكا إلا مجاراة لهذه القاعدة ؛ ومن هذا النوع شراء حكومتنا قطناً مدة بضع سنوات وخزنه ، لتقليل المعروض منه للتصدير .

وما وصل إليه السلم الحديث خزن بعض الفواكه والخضروات والبقول بحفظها في جو محكمة لحين الحاجة

أصابهم من الهزيمة . وفيما هو يقلب الرأي مرة بعد مرة في حزن كاد يغلب عليه ، سمع صرخة من ناحية الجنوب ، فالتفت نحوها فرأى جمعاً مقبلاً ؛ فكاد يملكه اليأس ، إذ أيقن أن الفرس لابد أن يكونوا قد حشدوا حشداً أقبل لنصرة إخوانهم ؛ وثارت في قلبه غضبة عظيمة على نفسه ، إذ قد زج بقومه في مثل هذا المأزق ، وعول على الموت حيث هو ، تكفيراً من تهوره ، فاستقبل الجمع المسرع نحوه عازماً على أن يختم حياته في مصرع منيف .

واقترب القوم فهمز الظليم واستقبلهم حانقاً ، وأشرع رمحه يريد القتال ، لا يلتفت وراءه ولا يدري إن كان وحده أم قد تبعه بعض جيشه ، حتى إذا ما كاد يطعن أول المقبلين عليه سمع صيحة عربية علت فوق ضجة المعركة الثائرة ، فتنبه فإذا به يرى أن تلك الكتيبة المقبلة ما هي إلا السرية التي انقطعت أخبارها عنه ، وأراد لها القضاء أن تعود في تلك الساعة التي فيها الفصل بين الفئتين . فصرخ صرخة فرح وهو يهز رمحه في الفضاء ، وعاد مع إخوانه سراعاً نحو ميدان المعركة الثائرة ، وهم يصيحون صيحة تجاوبت أصداؤها ، وسمع المتحاربون الصيحة ونظروا إلى المدد الجديد ، فاشتدت عزيمة العرب وتضعضعت قوة الفرس وأخذوا في طلب النجاة . وما هي إلا ساعة حتى خلا جانب النهر إلا من فرسان العرب يتنادون من أطراف الميدان .

وكانت شمس الظهيرة تسطع في كبد السماء عندما اجتمع جيش العرب المتبدد ، وقد زهاه النصر وأثقلته أحمال الغنائم الثمينة ، وعسكر به أزدية ليستريح حيناً ، قبل أن يستأنف السير إلى الجنوب قاصداً طيسفون .

ولم ينس أزدية أن يبعث بالبشرى رسولاً إلى زنوبيا في تدمر المشاركة في عزة نصر العظيم .

(يتبع) محمد فريد أبو حديد

إليها ، وخزن اللحم والسمك بالتبريد ونقلهما من بلاد إلى بلاد ؛ وطريقة الحفظ هذه وإن عادت بفوائد عظيمة كحفظها لحين الحاجة إليها في غير أوقاتها أو نقلها من بلاد تكثر فيها هذه الأشياء عن حاجة أهلها إليها لبلاد أخرى بعيدة تحتاج إليها لقلتها فيها ، فقد يستغلها بعضهم استغلالا غير مشروع بخزنها وتقليل المعروض منها بطريقة الاحتكار لرفع أثمانها .

ومن الغريب أن الهيئات الطبية في أغلب البلاد التي كثر فيها عدد الأطباء ترى تمشياً مع قانون العرض والطلب أن تتخذ الوسائل لتقليل عدد المتخرجين من المدارس الطبية التي في تلك البلاد ، وكأنهم — سامحهم الله — جعلوا الأطباء كالسلع التي تعرض في الأسواق المختلفة ، إذا زاد المعروض منها عن المطلوب قلت قيمته . فالقوم يزعمون أن الأطباء إذا زاد عددهم قلت قيمتهم . ولو أن هذه الهيئات الطبية عقلت الأمر وتركت بعضها أن تنحط بالأطباء إلى هذا الدرك لكان خيراً لها ؛ وذلك لأن هذه الهيئات بمحاولتها تطبيق هذه القاعدة الاقتصادية على أفرادها تحرم البلاد من العدد الكافي من الأطباء لتحسين الصحة العامة ، وتحرم المرضى من العدد الكافي من الأطباء للقيام بشؤون العلاج الشاق ، وتحرم الأطباء أنفسهم أن يعيشوا عيشة راضية بالحصول على الأرزاق الكافية لسد حاجاتهم الاجتماعية . وقد مر بك في الكلمة الماضية كيف أن الولايات المتحدة تحتاج إلى ضعف عدد من فيها من الأطباء ، على كثرتهم هناك .

هذا إلى أن صناعة الطب تختلف عن سائر الصناعات . ففي كثير من المصانع استخدمت الآلات الحديثة ، البخارية منها والكهربائية ، وقد استغنى بها القوم عن كثير من العقول البشرية والأيدي العاملة ؛ مع أنهم في الوقت نفسه قد زادوا بها في مصانعهم « الإنتاج » ، وقلت حاجتهم إلى العمال . ولا كذلك الطب لأن شتى الأجهزة الحديثة المستعملة في الأعمال الطبية لا تغني عن الأطباء ؛ بل هي على النقيض تقتضي كثرتهم للتوفر على استعمالها . فأجهزة الأشعة المجهولة ، وهي أشعة رنتجن لا بد من طبيب متوفر (إخصائي) عليها ، والأجهزة الكهربائية المختلفة كالتي ترسم بها ضربات القلب لا بد لها من طبيب متوفر عليها أيضاً .

قد يكون للهيئات الطبيـة في مثل الولايات المتحدة بعض الحق أو بعض العذر إذا هم أولو الشأن عندهم أن يقللوا عدد الأطباء ، وأن يضيقوا دائرة التعليم الطبي على طالبيه لكثرة الأطباء في البلاد ، ولكثرة المستشفيات والمصحات والمستوصفات ، وارتفاع المستوى الصحي ارتفاعاً يغبطون عليه ؛ ولكن ما عذرنا نحن المصريين إذا حددنا عددهم ، ولم يبلغ شأوهم في أي شيء ؟ فالأطباء عندنا قليلون ، والمستشفيات والمصحات والمستوصفات عندنا قليلة بالنسبة للمرضى ؛ والأمراض منتشرة عندنا انتشاراً عظيماً ، وبعضها مستوطن يكاد يقضي على الصحة العامة قضاءً مبرماً . فهذه البلهارسية والانكلستوما والملاريا والرمد قد طاب لها لسوء الحظ المقام في مصر ، وقلما ينجو منها إلا القليل من الفلاحين ، وهم الأغلبية الساحقة من المصريين الذين عليهم مدار الرخاء والرفاهية في مصر ؛ فهم عماد ثروتها ، لأنهم الأيدي العاملة المنتجة الجديرة بكل عطف وعناية ، حفظاً للصحة العامة وحرصاً على الثروة العامة .

وما أدري كيف يصح بعد ذلك أن نطبق عندنا على الأطباء مبدأ العرض والطلب ، بل كيف يصح أن نجاري الهيئات الطبية في الخارج في العمل على التقليل من الأطباء ، وتضييق دائرة التعليم الطبي على راغبيه ، ومصر أحوج البلاد إلى كثرة الأطباء ، وكثرة المستشفيات

وكثرة الصحات والمتوصفات .

ولقد والله أوشك الشيطان أن يستدرجني للترحم على سالف عهدي بالتلمذة يوم كان يتنافس كل من الدكتور كيتنيج ناظر مدرسة الطب ، والمستر اليوت ناظر القسم المالي في جذبي أنا وبعض زملائي إلى مدرسته ، إذ كان يغرنا الدكتور كيتنيج إلى مدرسته بالسعي إلى إدخالنا مجاناً ، وقد كنا أول فرقة دفعت المصروفات في مدرسة الطب ؛ بينما كان يغرنا المستر اليوت بالمكافأة الشهرية التي كانت تدفع للطلبة في ذلك الوقت ، وبالسعي لإرسالنا في بعثة إلى انكلترا بعد إتمام الدراسة ، وبغير ذلك .

وما كانت مصر يوم كانت يسعى كلا الناظرين إلى الاكثار من طلبة مدرسته بأحوج إلى الأطباء منها الآن ؛ ذلك لأن الطبيب في ذلك الوقت كان يعرف شيئاً من كل شيء في الطب ، ويقوم بعلاج مختلف العلل والأمراض .

أما الآن فقد انتشر التوفر (الاختصاص) في الطب ، وأصبح الطبيب في أكثر أحواله يعرف كل شيء من شيء ؛ وكلما مرت الأيام وتقدم الطب زادت فروعه ؛ فهناك طبيب الأمراض الباطنية ، وطبيب الأمراض الجراحية ، وطبيب الأمراض الزهرية ، وطبيب الأمراض الجلدية ، وطبيب أمراض العيون ، وطبيب أمراض النساء ، والطبيب المولد ، وطبيب التخدير ، وطبيب الأشعة ، وطبيب الأبحاث البكتريولوجية والباثولوجية . بل أصبح الفرع الواحد ينقسم إلى فروع أخرى ؛ فالأمراض الباطنية تنقسم إلى الأمراض العصبية ، وأمراض الصدر ، وأمراض القلب ، وأمراض المناطق الحارة ، إلى غير ذلك ؛ وكذلك الأمراض الجراحية أصبحت تنقسم إلى فروع كثيرة ، كجراحة العظام ، وجراحة المجاري البولية ، وجراحة الصدر ، وجراحة البطن ، وجراحة الأمراض العصبية ؛ وأصبح للأمراض العقلية متوفرون عليها ، ولمسائل الصحة العامة كذلك متوفرون عليها .

أضف إلى ذلك أن الجمهور في العهد السالف كان لا يلجأ إلى العلاج إلا نادراً ومتأخراً ، وكان كثيراً ما يكتفي باستشارة الدجالين والحلاقين ، على غير ما هي الحال الآن ، إذ أصبح الجمهور يدرك فائدة المبادرة بالعلاج ، فاشتد الاقبال على الأطباء ، فمن الخير لمصر أن يفتح أولو الشأن باب كلية الطب على مصراعيه ويعملوا على جعل المستشفيات الكبيرة تعليمية ، ثم تأسيس كلية طب أخرى . أما ما يخشاه أولو الأمر من ازدحام الأطباء بعد التخرج على الوظائف الحكومية — إن شجعوا التعلم الطبي كما أرى — فمن الأوهام التي سأشرحها في مقال الآتية إن شاء الله .

محمد عبد الحميد

وكيل مستشفيات الجامعة

جمال الدين ومحمد عبده

للأستاذ عبد المنعم عمارة

توفي جمال الدين الأفغاني في ٩ مارس من عام ١٨٩٧ م . ويسرنا بمناسبة الذكرى الرابعة والأربعين أن نكشف عن العلاقة الأدبية التي كانت وثيقة بينه وبين محمد عبده إلى أن نفي من مصر في سبتمبر من عام ١٨٧٩ م

كان جمال الدين الأفغاني فيلسوف الشرق والإسلام قد سافر إلى الهند عام ١٨٦٩ م ، ثم رحّلته الحكومة الانجليزية على باخرة ماضية في طريقها إلى السويس ، فلما وصل إلى مصر لم يمكث بها أكثر من أربعين يوماً . غير أنه عاد إليها مرة ثانية عام ١٨٧١ م حيث تلقى من المصريين ما حبب إليه الاقامة والعيش في ربوع النيل

وعلم محمد عبده بوصول حكيم الشرق وفيلسوفه العظيم إلى مصر لأول مرة من أحد المجاورين برواق الشوام . . ولما ذهب بصحبة الشيخ حسن الطويل لزيارته والتعرف به وجداه يتناول طعام العشاء ، [illegible] حدثهما بعد فراغه من الطعام في تفسير القرآن ، [illegible] الحديث إلى التصوف ورجاله وآرائه في [illegible] وكان جمال الدين صوفياً من كبار الصوفيين ، ملماً بكثير من أحوالهم ومعارفهم ، مدركاً لكثير من خفايا تعاليمهم . وكان جمال الدين إلى جانب ذلك نافذ البصر ، قوي الملاحظة ، لا تخفى عليه خافية ، ولذلك لم تغب عنه ما كانت تنم عليه نظرات محمد عبده وحيرته عند التحدث عن التصوف وأهله ، كما أدرك بفطنته النزعة القوية التي كانت تتصارع في نفس ذلك الشاب الجالس أمامه ، والذي كان يتشوق إلى المعرفة الصحيحة . . . لم يخف على جمال الدين شيء من هذا كله ، ولذلك حدثه بأسلوبه الصادق الجميل المشبع بالثقة والايمان حتى اطمأن إليه ووثق به ، وتعلق بأوصاله . . . ولما عاد إلى مصر المرة الثانية عام ١٨٧١ م أسرع إليه تلميذه الأول ليشبع رغبته في طلب العلم ومعرفة كنوز الفلسفة . ولازمه محمد عبده منذ ذلك الوقت لا يفارقه ، بل أخذ يدعو أصدقاءه ومعارفه إلى غشيان مجلسه والحضور عليه وتفهم أحاديثه والاستماع لصوته العذب .

وانتهج جمال الدين في إلقاء دروسه منهاجاً جديداً لا عهد للمصريين به ، واستطاع بطريقته الأخاذة الساحرة أن يدرب تلاميذه على إنشاء المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية ، وأن يمرنهم على الخطابة ، وأن يخرج منهم رجالاً كانوا زعماء الأمة وقادتها والعاملين على رقيها والنهوض بها إلى حيث تحتل مكانتها اللائقة بين الأمم ، ولا أدل على ذلك من أن محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين [illegible] حسن باشا عبد الرازق وغيرهم كانوا من تلاميذه ، حتى أدركوا ما كانت عليه نفس هذا الفيلسوف من حب السمو الخلق وجهاده في سبيل تكوين خلفاء له ينقذون مصر الاسلامية بل الشرق كله من ظلم المستعمرين واضطهادهم . . .

ولو أردنا أن نحصر الخدمات التي قدمها جمال الدين لتلميذه محمد عبده لوجدناها كثيرة قيمة نذكر بعضها فيما يأتي :

أولا — كان أول ما قدمه جمال الدين لمحمد عبده انتشاله الطالب الناشئ من الاستغراق في التصوف .

ثانيا — ترغيبه في الاطلاع على ما في الكتب الحديثة التي ترجمت إلى مختلف اللغات . وقد استطاع محمد عبده أن يجد في هذه الكتب لذة أخرى جديدة لم يكن يجدها أو يحسها فيما كان يقرأ من الكتب القديمة . واستطاع أن يجد مجالا جديداً أطال التحديق في آفاقه ، ذلك هو عالم

الفكر الغربي وما وصل إليه من علم حديث .

ثالثاً — مهد جمال الدين لمحمد عبده طريق الصحافة منذ دربه على الكتابة والانشاء ، وكان لهذا التمهيد أثر قوى في حياته ، بل كان لاشتغاله بالصحافة والتحرير فيما بعد أثر قوى ظاهر في حياة الأمة كلها . . واستطاع محمد عبده بما هيأه له أستاذه أن يكون خطيباً بليغاً قوى الحجة طلق اللسان ، بل واستطاع أن يبز أستاذه في هذا المضمار ، لخلو لهجته من العجمة التي لازمت جمال الدين طوال حياته .[1]

* * *

وكتب محمد عبده في هذا الوقت عدة مقالات نشرت بجريدة الأهرام . من هذه المقالات اثنتان أخذهما عن أستاذه جمال الدين : الأول في فلسفة التربية ، وأبان فيها عن سلامة الحياة الخلقية وصحة التركيب الجسماني في حياة النبات والحيوان ؛ وقد بين فيها أن صحة التركيب البدني إنما تأتي من تجمع أصول متضاربة ، يتوسطها أصل ، كان في هذه الغلبة فساد التركيب . . وكذلك التكوين الإنساني لا يأتي إلا حيث توجد أخلاق متضادة وملكات متخالفة يكون من وراء تضادها واختلافها حقيقة الفضيلة المتحدة . . وقد جاء فيه :

« وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية إنما هي واسطة لطرفين متضادين ، لابد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة ، وبغلبة أحدهما على الآخر يختل نظام الفضيلة ، ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية . »

* * *

وأما المقال الثاني الذي نقله عن أستاذه وصديقه جمال الدين فيبحث في فلسفة الصناعة ، وهو يتناول الأدوار العقلية التي مرت بالانسان كما يتناول تطوره الاجتماعي وقيمة الصناعات المختلفة بالنسبة للجماعة ثم ضرورتها للأفراد ومقدار ما تؤديه للجماعة من النفع .

وقد جاء فيه : « الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات . فالقوة مبدأ الأثر مطلقاً فعلا كان أو انفعالاً . فالنار مثلاً ذو قوة الفعل ، والشمع ذو قوة الانفعال ، إلا أن قوة التأثر والقبول لا تعد صناعة . ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة ، وليست كل قوة فاعلة صناعية ما لم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر منها أفعال مستمرة على وجه منتظم » .

وأما المقالات الأخرى وعددها خمس فهي تقريظ الأهرام ، الكتابة والقلم ، والمدبر الانساني والمدبر العقلي الروحاني ، والعلوم الكلامية والدعوة إلى العلوم العصرية ، والتحفة الأدبية . . وقد دعا في هذه المقالات إلى إحياض الشباب . . كما دعا الأمة إلى الحذر من تدخل الأجانب في شئون البلاد ، وطرح أنظمة التعليم العتيقة ، والأخذ بالنظر الصحيح ، ودراسة العلوم ؛ وفي هذا يقول : « علينا أن ننظر في أحوال جيراننا من الملل والدول ، وما الذي تقدمهم من حالهم الأول ، وأدى بهم إلى أن صاروا أغنياء أقوياء ، فاذا حققنا السبب ، وجب علينا أن نسارع إليه حتى نتدارك ما فات ، ونستعد لخيرنا فيما هو آت . وها نحن بعد النظر لا نجد سبباً لترقيهم في الثروة والقوة إلا ارتقاء المعارف والعلوم فيما بينهم . فاذاً أول واجب علينا هو السعى بكل جد واجتهاد في نشر هذه العلوم في أوطاننا » .

وإذا نحن أمعنا النظر في تلك المقالات التي كتبها أثناء التحاقه بالأزهر استطعنا أن ندرك أنها كانت السبب الأول في أن يعرفه الناس زعيماً مجدداً ، وأنه بدأ يشتغل بالاصلاح منذ بكورة شبابه ، وأنه كان مهتدياً في ذلك بهدى جمال الدين . ونستطيع أن ندرك كذلك كيف تقدم تفكيره عما كان عليه في تلك السنوات التي كان غارقاً فيها

---

(١) الاسلام والتجديد في مصر للدكتور تشارلز آدمس صفحة ٣٢ .

في تأملات التصوف وخيالاته .

يقول المرحوم الشيخ رشيد رضا عن تلك المقالات الخمس : «هذا آخر ما رأينا للأستاذ الإمام من المقالات في السنة الأولى من جريدة الأهرام ، وكان لا يزال مجاوراً في الأزهر لم يصر مدرساً رسمياً ، وهي تدل على أنه أوتي كمال العقل وسداد الرأي في بدايته» الخ الخ .

واستمرت صلة الإمام بالأزهر على ما عرفناه من قبل ، من حضور الدروس التي يرغب في حضورها والاستماع إلى الأساتذة الذين يثق في مقدرتهم العلمية ، والاطلاع خارج الأزهر على ما يرى نفسه تواقة إليه من العلوم والمعارف ، ثم الاختلاف إلى جمال الدين والأخذ عنه ، فلما كان عام ١٨٧٧م تقدم لامتحان العالمية ، ولكنه رأى وجوه الممتحنين عابسة ، وأحس قلوبهم منه نافرة ، ورأى في الأسئلة الموجهة إليه صعوبة وشدة ، ورغبة في إحراجه ، وتشوقاً إلى تعجيزه . ولم يكن من الصعب على محمد عبده معرفة أسباب ذلك كله ، فقد كان كثير من شيوخ الأزهر الذين اشتدت حفيظتهم عليه لأسباب كثيرة . يقول الدكتور تشارلز آدمس : «وبعض هذه الموجدة يرجع إلى كراهيتهم لدروس الفلسفة التي كان جمال الدين يبعثها من جديد ، وبعضها إلى نزعته التجديدية على وجه عام . على أنه يبدو أنه كان للغيرة أيضاً شأن كبير ، فإن محمد عبده وغيره من الطلاب كانوا على الأرجح يهملون دروسهم في الأزهر ، ويتغيبون عنها ليقرأوا على جمال الدين» .

ومما يدل على كره الشيوخ الشيخ محمد عبده ، وعلى أن الصعوبة التي وجدها أثناء تأدية امتحان العالمية إنما كانت لتعجيزه انتقاماً منه ، تلك الحادثة التي وقعت بينه وبين الشيخ «عليش» رأس المتحرجين المتعصبين في ذلك الوقت ، وذلك الخلاف الذي نشب بين الطالب الأزهري وذلك الشيخ ، وترجع أسباب ذلك الخلاف إلى ترجيح الطالب لمذهب المعتزلة على مذهب الأشعرية ، وهو ما لا يرضى عنه أستاذ يعتقد في نفسه عدم صلاحية تلميذه ، بل وعجزه ، عن مثل هذا البحث والترجيح ، والذي يرى عدم جواز إثارة تلك المناقشات ، التي لا يشتغل بها الأساتذة أنفسهم .

كان محمد عبده تلميذ جمال الدين ، وهو على ما علمناه أستاذ الفلسفة الإسلامية الحديثة ، وكان محمد عبده يكره الشيوخ المتزمتين ، وكان يسخر من تلك العقول التي لا تحاول الفكاك من قيود فرضتها عصور الجهالة والاستبداد ، وكان محمد عبده يعتز بعلمه وثقافته ، ويغار على كرامته وشرفه ، ولذلك دبرت حوله الدسائس ، ومكر به أساتذته ، وحاولوا تعجيزه في الامتحان ؛ ولكنه استطاع بكثرة اطلاعه وسداد رأيه وحسن إجابته ، ومساعدة الشيخ العباسي شيخ الجامع الأزهر يوم ذاك ، أن يظفر بشهادة العالمية من الدرجة الثانية . وفي هذا يقول :

«عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية ، وابتليت في الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش ، وكان يحادني على الشيب اتباعاً لآراء من لا رشد عندهم من جهلاء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ألا يمنحوني درجة ما في العلم ، وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ، ولكن كان أمر الله أغلب ، فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية ، وصرت مدرساً من مدرسي الجامع الأزهر ، وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية» .

فرح الإمام بنيله هذه الدرجة لا لشيء إلا لأنها ساعدته على أن يخطو الخطوة الأولى في سبيل غاياته الواسعة ، وإصلاحاته التي كان يحلم بتحقيقها منذ زمن بعيد ، وظل الإمام بعد تخرجه في الأزهر متصلاً بأستاذه جمال الدين الأفغاني يستقي من بحر علمه الفياض ، حتى فرقت بينهما الحوادث لتجمعهما مرة ثانية في ساحة الجهاد .

عبد المنعم حمادة
المحرر بمجلة التعاون

صفحة من تاريخ إيران :

زروان وولداه

أهورا مزدا وأهرمن

نريد في هذا المقال أن نذكر شيئاً من آلهة الإيرانيين القدماء ومعتقداتهم . ولعل أول ما يلفت النظر هو أن الإيرانيين منذ كونوا دولتهم الأولى أيام كيرس Cyrus عرفوا إلهاً أعلى يسكن السماء هو أهورا مزدا ، الذي نسميه إله الخير – على أن هذا الإله كان معروفاً قبل قيام هذه الدولة .

قالوا : إن زروان أكرانا Zarvan Akrana — الزمان المطلق — تاق إلى ولد من نسله يستمر عليه ورعاه ، وإنه بذل في سبيل ذلك كثيراً من التضحيات ومنها ألف سنة ، ولكنه في وقت ما شك في نتيجة ما بذل إليه ، فكان أن أنجب ولدين ، أحدهما نتيجة التضحيات الخالصة الصادرة عن القلب السليم ، وهو أهورا مزدا (أهورا : القوة . مزدا : الذكاء) ، والثاني نتيجة الريبة ، وهو آنرو ماينيش Anro Maynush (أهرمن : أمير الشياطين) ، وهو المعروف بإله الشر .

قالوا : وقد وعد زروان مُلك العالم لمن يسبق منهما في النزول أمامه ، فلم يكن من أهرمن إلا أن بقر بطن أبيه (أو أمه) ومثل أمامه . فسأله زروان : من أنت ؟ قال أهرمن : أنا ابنك . قال زروان : إن ابني ذكي الرائحة يشع منه النور . أما أنت فمظلم ونتن ! وفي هذه الأثناء مثل أهورا مزدا أمام أبيه فعرفه وقال له : كثيراً ما ضحيت من أجلك ، والآن أستريح وتضحي أنت من أجلي .

قالوا : فذكر أهرمن أباه بأنه وعد الملك للسابق منهما في النزول أمامه ، فوعده عليك تسعة آلاف سنة على أن ينفرد أخوه بالملك بعد ذلك .

قالوا : ولم يكن في الوجود غير زروان أكرانا — الزمان المطلق — فترك لأهورا مزدا خلق السموات والأرض وما بينهما . ثم إنه خلق ستة آلهة : الإرادة الطيبة ، والصدق ، والحكم الصالح ، ومدبر الحكمة ، ومهيئ الثراء ، ومفيض السرور . ثم أراد أن يخلق أربعة وعشرين إلهاً آخرين ، فوضع جواهرها في بيضة ، وفي البيضة نبتاً ومن أهرمن نواة لآلهة على شاكلته ، فاختلط الخير بالشر ، والشر والخير ، والظلمة والنور . ورأى أهورا مزدا أن يشرف على ما خلق ، فكبّر نفسه ثلاثة أضعاف ، وابتعد عن الشمس بعدها عن الأرض ، ونثر في السماء نجوماً رقيبة على الكون !

قالوا : وبدأ أهورا مزدا (هرمزد) في خلق الحيوان والنبات ، فخلق الثور ، وخلق الرجل الأول Gayomard الذي هو أصل البشر (جايا مرتان : الحياة الفانية) ، فنهض أهرمن لمناكفة أخيه ، فخلق الزواحف والحشرات المؤذية . فتحصن أهورا مزدا بنوره وربطه عند السماء حيث هاجمه أهرمن فقتل الثور والرجل ، ومن «جواهر» هذا الأخير التي بقيت في الأرض أربعين سنة ، نبتت شجرة ، ظهر منها الإنسان بجنسيه ، الرجل والمرأة ، (ماشياغ — وماشياناغ) . ونبت من مسقط الثور الأنعام وسائر الحيوان !

قالوا : بل كان لزروان زوجة اسمها خواشى زاغ (تصغير خواش عمق الطيبة) . وفي نص آخر تسمى «أم الأحياء» زوجة «ملك النور» زروان ، «وأم الرجل الأول» أهورا مزدا ، رَامشنا توخ Ramnatakh (أى باعثة السرور) وقد أنجب الزوجان توأمين هما : أهورا مزدا ، من النور الخالص والخير المحض ، واهرمن من الظلمة والشر المطلق .

* * *

أما زروان نفسه فتشير النصوص إليه تارة باسم زروان اكنارغ Zurvan Akanaragh أى الزمان الأبدى اللا محدود ، وتارة أخرى باسم زروان دير نگ خوداى Zurvan Dyrang Khuday ، أى الزمان ذو السيادة الطويلة . أى صاحب الملك الدنيوى فى الفترة التى يحياها العالم ، وهى اثنا عشر ألف سنة أو تسعة آلاف سنة .

* * *

ومهما يكن فقد قامت الحرب بين الأخوين ، وظلت تسعة آلاف سنة . قالوا : وفى الثلاثة الآلاف الأولى كانت الغلبة لأهرمن ، وفى الثلاثة الآلاف الثانية تعادلت قوتا الأخوين ، وبدأت الثلاثة الآلاف الأخيرة بظهور زرادشت وبإندحار أهرمن ، فهزم هزيمة أبدية لا يقوى بعدها أبداً .

قالوا : وقد خير أهورا مزدا الناس وهم أرواح مجردة بين أن يرفعهم من مواضع أهرمن وبين أن تلبسهم الأجساد ليحاربوا الشر ، فاختاروا التجسد والنضال .

* * *

ولكن الناس لم يصحبوا جميعاً مع إله الخير ، بل انقسموا شيعتين ، مناصر لأهورا مزدا ، وتابع لأهرمن ، فمن اتبع الهدى وناصر الخير فإنه يسير على صراط مستقيم إلى الجنة ، ومن ضل واتبع أهرمن ، يدق الصراط أثناء سيره عليه ، بحيث يسقط فى جهنم ، وهناك يعذب بقدر ما جنى . أما من تعادلت موازينه فإنه يبقى فى مكان وسط بين الجنة والنار (همستغان Hamestagan)

* * *

وبعد ثلاثة آلاف سنة من خلق العالم الدنيوى ظهر زرادشت ليهدى الناس الطريق السوى ، ويبقى العالم بعده ثلاثة آلاف سنة . وفى نهاية كل ألف يظهر مخلص (سوشيانس Soshyans) ، يولد من « جواهر » زرادشت التى تسكون مخبأة فى بحيرة .

وفى عهد المخلص الثالث ، يبعث الأبطال والشياطين وتقوم الحرب . ثم يبعث الأموات جميعاً ، ويسقط النجم مُلتهباً على الأرض (جُتچهر Gotcithr) فيذيب معادنها التى تكون النهاية ، والخلائق جميعاً مجبرون على عبور هذه الأرض الملتهبة ، فمن آمن كانت النار عليه برداً وسلاماً ، كاللبن الحليب يطهره وتذكيه ، ويدخل منها إلى الجنة ، وبعد المعركة الأخيرة بين الخير والشر يهلك الأخير ويختنق فى عالم الظلمات ، ويبقى الناس فى أمن وسلام أبديين ، وهذا هو البعث الجديد ؟

دكتور يحيى الخشاب

من غرائب الأشياء :

نبات يأكل حيوانا

للأستاذ محمد أحمد بدوى

المعروف عن النبات أنه يستمد غذاءه من طريقين : طريق الأرض ، وفيه يمتص النبات محاليل الأملاح بواسطة جذوره أو غيرها ، وطريق الجو ، وفيه يمتص النبات بواسطة أجزائه الخضراء غاز الكربونيك ليكون مع الماء مواد سكرية . ومن هذه السكريات وتلك المحاليل الملحية يكون النبات من الغذاء ما هو أكثر تعقيداً ، وبهذا يضمن لنفسه الغذاء الذي يعينه على أداء وظائفه ، سواء منها ما كان لازماً لبقائه كفرد ، أو لبقاء نوعه . هذه قاعدة النبات في غذائه عند ما توجد مادة الكلوروفيل (أي المادة الخضراء) في أنسجته .

لكن هناك أنواعاً كثيرة من النباتات تشذ عن هذه القاعدة ، وتسلك طرقاً أخرى للتغذية ، كأن تعتمد مثلا على غيرها من النباتات في امتصاص ماء الأرض وما به من أملاح ، ثم تستقل عن غيرها فيما عدا ذلك .

ومثال هذا النوع الزانو[1] (وهو معروف في انجلترا وفرنسا) . ومثال آخر نبات اللورنتس الذي يلتصق بالسنط فيمتص منه المحاليل التي كان يقوم بامتصاصها الجذر لو كان له وجود فيه ، ثم يقوم بالتمثيل كأي نبات آخر .

وقد يعتمد النبات اعتماداً كلياً على غيره ، فيصير عالة عليه يمتص منه كل ما يلزمه من المواد ، بسيطة كانت أو معقدة ، فلا يمتص بنفسه من الأرض محلولا ، ولا يقوم بنفسه بتمثيل الكربون أو غيره ، وإنما يرسل إلى عائله من الممصات ما يكفل أن يوصل إليه كل ما يلزمه من الغذاء عن طريق هذه الممصات . وربما يكون القارئ قد سمع عن نبات الهالوك الذي ينمو مع الفول ، فيمتص غذاءه منه . ولا نجد للهالوك غير شمراخ يحمل أزهاراً تكون ثماراً تنتثر منها بذور تبقي النوع للعام المقبل . ولا نجد لهذا الهالوك جذوراً ولا أوراقاً ، فليست به حاجة لها لأن الغذاء يجهز له بواسطة نبات آخر .

وهناك نباتات تتوسط بين المعيشة المستقلة وبين التطفل فهي تقوم بصنع غذائها وتنمو . ولكنه لم [illegible] لأنها تحتاج إلى مورد أرقى لتزيد من أزهارها وأثمارها ، وهذه النباتات هي التي نسميها آكلة الحشرات ، فهي تمتص وتمثل وتنمو ، ولكنها تحتاج إلى غذاء آخر ، يعينها على مقابلة ظروفها ، ذلك لأنها تعيش حيث تكثر النباتات التي يترسب في تربتها كثير من المواد العضوية ، وتكون المواد الأزوتية نادرة أو قليلة ، ولذلك نراها تستكمل هذا النقص في غذائها من جسم الحيوان ، ولكي يتم لها ذلك نجد الطبيعة قد ساعدتها بأن جعلت لها من تركيبها ومن شكلها ما يساعدها على اقتناص الفريسة الحيوانية وتحويلها إلى مادة يسهل امتصاصها والانتفاع بها كغذاء .

فهذا نبات الجرة (Nepenthes) وطنه بلاد الملايو ، ولا نجده في مصر إلا في البيوت الزجاجية (فهو يحتاج إلى جو حار) . وفي حديقة الزهرية بالجزيرة عينة منه

(١) ينمو الزانو متطفلا على شجر التفاح ، إذ تتعمق ممصاته في أنسجة الأشجار ، فتمتص الماء والأملاح الذائبة فيه .

(شكل ١) . أوراقه طويلة قد تبلغ القدم . وقد تحور جزء من الورقة إلى ما يشبه الجرة ، ويقرب طول هـذا الجزء من عشرة سنتيمترات ، وتتصل الجرة ببقية الورقة من أسفل ، وقد تحور هـذا الجزء إلى شكل لولبي ، يسمى بالمحلاق[1]، ويلتف قدر لفتين أو أقل ، ليتخذ مما حوله دعامة تحفظ الجرة في وضعها . وفي نهاية الإناء جزء من بقية الورقة ، يعمل كغطاء ، ولـكنه غير متحرك .



إلى اليسار : نبات النبنتس "The pelabes" وقد تدلت جراره . وإلى اليمين إحدى الجرار مكبرة

وهو يظلل فتحة الإناء فيقلل من تبخر ما تحتويه ، كما أنه يظل دائماً في وضعه هذا لاستقبال أية فريسة . وللجرة ألوان زاهية تميل إلى الاحمرار . وتبقى فوهة الجرة مفتوحة على الدوام ، إذ تحيطها حلقة من نسيج متخشب . وما أشبه هذه الوظيفة بوظيفة الغضاريف في القصبة الهوائية للإنسان . وللفوهة ألوان جذابة يليهـا من الداخل إلى أسفل ألوان زاهية ، ويتوسط هذه المنطقة غدد تفرز رحيقاً يعمل على جلب الحشرات ، فإذا ما اقتربت الحشرة من هذه

(١) المحلاق جزء نباتي دقيق كالخيط يلتف حول أية دعامة ليساعد على تثبيت النبات وتسلقه كما في العنب والبازلاء .

الغدد ، وحاولت أن تنال منها بغيتها فلا تلبث أن تنزلق إلى قاع الجرة ، وذلك لنعومة تلك المنطقة الداخلية إلى حد كبير ، كما يساعد على ذلك كون هـذا السطح رأسياً إن لم يكن مائلاً باتساع إلى أسفل . على أن بعض الحشرات قد يكون لها من مخالبها ما يساعدها على الالتصاق بجدران الجرة . وهذه أيضاً لا سبيل لنجاتها ، إذ أن محاولتها الالتصاق تدفع بها إلى القاع ، وذلك لأن هناك بعض قشور من الشمع تلتصق بالمخالب فتجعلها تنزلق . وتفسير ذلك أن جدران الجرة من الداخل بها نتوءات عليها تلك القشور من الشمع . وهذه القشور لا تلبث أن تنفصل بمجرد لمسها . وهكذا نجد أشراكاً بالغت حد الكمال قد نصبت لتلك الحشرات ، فلا تنجو منها إلا الحشرة الطائرة إذا أفلتت من لمس الماء الذي بالجرة .

وهذا الماء الذي يملأ نصف الجرة أو أكثر منه بقليل [illegible] التي تفرزها الغدد الموجودة في هذا الجزء من النبات . وهذا السائل يعمل المثل على زيادة مقداره أضعافاً . أما تأثيره فضئيل ، ولـكنه لا يلبث أن يصبح حمضياً إذا ما استقبل الفريسة . ثم إن السائل يحتوي كذلك على عامل لا تلبث في هـذه الحالة أن تحدث أثرها في الحيوان فيهضم ، ثم يمتص النبات ما يمكن امتصاصه منه ، وقد وجد أنه لا يحدث تعفن في محتويات الجرة . وتفسير ذلك أن السائل يمنع كذلك نمو البكتريا التي تسبب التعفن .

وعندنا في مصر نبات يأكل الحيوان ، لا ينمو على الأرض بل يكون مغموراً في الماء ويسمى حامول الماء ، (Utricularia) ونراه في شكل (٢) ، وهو يوجد في الواحات الخارجة ، وله وريقات رقيقة مشرحة أو مشققة في اتجاه طولها (وهذه طبيعة أوراق النبات المائي ، والحكمة فيها زيادة السطح الذي يمتص الغذاء من جهة ، وتقليل المقاومة لحركة الماء من جهة أخرى .) وتجد بين الوريقات في هذا

النبات مثانات صغيرة (تراها في أسفل الشكل جهة اليسار) في حجم العدسة ، ضاقت من جهة وتفلطحت من الجهة الأخرى . ولو فحصنا إحدى هذه المثانات لوجدنا لها في أسفلها فتحة يغطيها صمام قد ظهر في القطاع الطولي للمثانة (وهو الجزء العلوي) إذ نحدد في نهاية الشعيرات ، ويلاحظ أن الصمام ينفتح إلى الداخل لا الخارج ، وقد استند طرفه الخالص بجزء متسمك من المثانة . وترى شعيرات تحيط بالصمام ؛ وقد يظن في بادىء الأمر أن الحشرة تدفع بنفسها



أسفل إلى اليمين : نبات حامول الماء وقد [illegible] الثالات من الأوراق – وإلى اليسار جزء [illegible] الثالة وفي أعلى الشكل إلى اليسار قطاع في [illegible] يبين الشعيرات والصمام – وإلى اليمين تظهر الغدد ذات الفروع الأربعة

من بين جدران المثانة دافعة ذلك الصمام إلى الداخل ، وتبقى حبيسة بعد ذلك ، ولكن اتضح من بحث العلامة بروخر سنة ١٩١١ وتحقيق زالا سنة ١٩٣٢ أن جدران المثانة لا تنفذ الماء تقريباً ، وأن على سطحها الداخلي توجد زوائد ذات أربعة فروع ، وهذه الزوائد (شكل ٢ إلى أقصى اليمين) تمتص الماء الموجود داخل المثانة وتطرده للخارج ، عند ذلك تندمج بعض أجزاء المثانة ، ويتقعر سطحها بعد ما كان منتفخاً ، ونظراً لمرونة الجدران فإنها تميل إلى الرجوع إلى حالتها الأولى ، فإذا مس حيوان بالشعيرات التي تحيط الصمام ولمسها ، انفتح الصمام قليلاً ، إذ أن هذه الشعيرات حساسة ، وعند انفتاح الصمام ترجع جدران المثانة إلى انتفاخها الأصلي ، فيتسبب عن ذلك تيار يندفع به الماء إلى الداخل حاملاً معه الفريسة ولا يلبث أن ينغلق الصمام بعد ذلك .

وقد وجد أنه لو ثقبنا المثانة بدبوس فإنها لا تقوم وظيفتها ، وذلك لأن الماء ينتشر من المثانة وإليها ، فلا يحدث فرق بين ضغط الماء داخل المثانة وخارجها ، فتتعطل الوظيفة التي تجذب الماء وما معه من حيوان صغير إلى الداخل .

ولم يثبت حتى الآن وجود عصارة أو مواد تساعد على هضم الفريسة ، وربما كان ذلك لصغر المثانات وضآلة المواد التي تفرزها . على أن المفهوم هو أن الفريسة بعد اقتناصها لا تلبث أن تميتها محاولاتها الإفلات ، فتموت من هذا الإعياء ، ثم تتحلل بفعل البكتريا الموجودة بالماء فتمتص هذه المواد المتحللة . وتستعد المثانة لاستقبال فريسة أخرى ، وهكذا .

محمد أحمد بيومي

صاحب امتياز المجلة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

***

رئيس التحرير المسئول

محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر	٣٠	في مصر والسودان
	٢٥	للطلبة ومعلمي الإلزام
	٤٠	في الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
	٥٠	في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العـدد [illegible] مليم

قصة للأطفال :

العبد الرومانى والأسد

للأستاذ محمد خلف الله

كان الرومان فى قديم الزمان يقسمون الناس إلى أحرار وعبيد ، وكانوا يستخدمون العبيد فى كل شىء ، ويضربونهم ويعذبونهم ، ويرسلونهم من « روما » إلى شمال « أفريقية » ليقوموا بخدمة الأسياد الرومان هناك .

وكان « أندرو » واحداً من هؤلاء العبيد ، أخذه سيده إلى « أفريقية » وعذبه عذاباً شديداً حتى لم يعد يستطيع الصبر على هذه الحالة ، فعزم على الفرار إلى شاطئ البحر لعله يعثر على سفينة أو قارب صغير ، فيعبر البحر ويعود إلى بلده « روما » .

انتظر « أندرو » إلى فصل الشتاء حيث الليل طويل والظلام شديد ، وفى ليلة من تلك الليالى خرج من بيت سيده خفية ، وتسلل إلى خارج المدينة ، وظل طول الليل سائراً على رجليه ، يمشى مرة ويجرى أخرى ، وهو يظن نفسه متجهاً إلى شاطئ البحر . فلما أصبح الصباح وجد نفسه فى جوف الصحراء ، لا يعلم أين هو ، ولا يجد صاحباً ولا رفيقاً . ولما أدركه التعب ، وحل به الجوع والعطش ، نظر فرأى على بعد مغارة فى الجبل فقصد إليها ودخل فيها ليستريح ؛ ثم اضطجع على الأرض وغلبه النوم فنام طويلا ، وحلم أحلاماً مزعجة مختلطة : رأى كأنه على قمة جبل وقد زلت رجله فهوى فى الفضاء ، وسقط على قارب صغير فى وسط بحر عظيم هائج الأمواج ليس له ساحل ، ثم تحطم القارب ووقع هو فى الماء ، وأخذت الأمواج تلعب به ، صاعدة ونازلة ، وصاخبة ومصفقة ، حتى ألقت به على سطح جزيرة نائية فأحاطت به الأسود والحيات والوحوش المفترسة ، تنظر إليه نظرات الوعيد والتهديد .

وبينما هو فى هذه الأحلام أيقظه صوت هائل مخيف دوى فملأ الفضاء ، فنهض « أندرو » واقفاً ونظر فرأى أسداً عظيماً على باب المغارة كأنه قطعة من الجبل وقفت فسدت الباب . غلب الخوف على « أندرو » وشل حركته فلم يستطع أن يعمل شيئاً ، فوقف متسمراً فى مكانه ينتظر أن يهجم عليه الأسد ويقضى على حياته بخبطة واحدة من مخالبه القاطعة ، ولكن الأسد لم يتحرك ، بل وقف يئن كأنه الشخص المريض ، ويلحس أحد مخالبه ، والدم يسيل من ذلك المخلب . عند ذلك هدأ « أندرو » قليلا ، وأدرك أن الأسد المسكين فى غاية الألم ، فنسى هو ما عنده من خوف ، وتقدم نحو الأسد فرفع إليه الأسد مخلبه ، كأنه يطلب منه المساعدة .

ونظر العبد فرأى شوكة كبيرة فى مخلب الأسد قد غاصت فيه وتمكنت منه ، فجذبها بقوة ، ومسح الدم ، وأخذ بذلك الجرح يرقأ حتى شعر الأسد بشىء من الراحة ، فنظر إلى « أندرو » نظرة الشكر والامتنان ، ثم خرج من المغارة يمرح ، وعاد بعد قليل يحمل فى فمه أرنباً برياً ميتاً ، ووضعه أمام العبد ، فأخذه هذا وشواه وأكله ، وبعد أن فرغ من الأكل قاده الأسد إلى مكان تحت الصخور فيه ماء يندفع من الرمل كأنه نافورة ، فشرب منه وروى عطشه .

عاش العبد والأسد على ذلك ثلاث سنين ، يخرجان

معاً للصيد أثناء النهار ، حتى إذا جاء الليل رجعا إلى المغارة فناما فيها . وكان الأسد كل ليلة يأخذ مكانه تحت أقدام « أندرو » ، ويبقى ساهراً مدة يحرك ذيله أحياناً كما تفعل القطة الهادئة الراضية تحت أقدام صاحبها .

ولكن « أندرو » بدأ يسأم حياة الصحراء ، ويحن إلى رؤية الناس ومباشرتهم ، فترك المغارة وسار يتلمس طريقاً يوصله إلى شاطئ البحر ، ولم يسر طويلاً حتى قبض عليه الجنود وساقوه إلى « روما » ليلقى جزاءه على هروبه من سيده .

وكان الرومان شديدي القسوة على العبيد الهاربين ، فكانوا يأخذون الواحد منهم إلى ميدان المدينة في يوم عطلة عامة ، وهناك يطلقون عليه الوحوش المفترسة ، فتمزق جسمه وتقتله شر قتلة . وهكذا أخذ « أندرو » المسكين إلى الملعب ، واجتمع الناس ليتفرجوا ويشهدوا ذلك المنظر المؤلم ، وحضر امبراطور « روما » في موكبه الحافل ، وجلس على كرسي عال [illegible] وجلس من حوله شيوخ المدينة ، وقد أطلقوا العبد إلى الساحة ، وأعطوه حربة طويلة ليدافع بها عن نفسه — إن قدر — ضد أسد عظيم قد جوعوه أياماً حتى أصبح شديد الفتك والافتراس ، ثم أطلقوا ذلك الأسد المخيف من قفصه ، فاندفع نحو العبد يريد أن ينقض عليه فيجهز على حياته في أقل من طرفة عين ، وزأر زئيراً هائلاً كأنه صوت الرعد هز أركان الملعب ، فارتعشت أقدام العبد واضطربت الحربة في يده من الخوف ، واعتقد أنه لا بد هالك . ولكن الأسد — بدل أن ينقض على فريسته — توقف لحظة ، ونظر إلى العبد نظرة دهش واستغراب ، ثم مشى نحوه ببطء ، وأخذ يحرك ذيله حتى وصل إليه ، فشرع يلحس يديه ورجليه في رفق وحنان . ونظر « أندرو » إلى الأسد فإذا هو رفيقه القديم الذي عاش معه في الصحراء ثلاث سنين ، فانحنى العبد عليه ، ومسح على رأسه بيديه ، وأخذ يبكي بكاء طويلاً .

ودهش المتفرجون لهذا المنظر وتملكهم العجب ، وبعث الإمبراطور في طلب العبد ليسأله عن شرح هذا الفعل العجيب ، فأخبره العبد بقصته وبكل ما جرى له ، فعفا الإمبراطور وأعتق العبد ، وأصبح « أندرو » حراً طليقاً ، وكان الناس بعد ذلك يرونه ماشياً في شوارع « روما » ومن خلفه الأسد المخلص يتبعه كما يتبع الكلب الأليف صاحبه في غدواته وروحاته .

محمد خلف الله

إنه في يوم الخميس ٢٠ مارس سنة ١٩٤١ من الساعة ٨ أفرنكي صباحاً فما بعدها بناحية الشنبة مركز فارسكور وفي يوم الأحد ٢٣ منه من الساعة ٨ أفرنكي صباحاً فما بعدها بسوق بندر فارسكور سيباع هذه الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك السيد محمد القراعيني من الشنبة مركز فارسكور نفاذاً للحكم الصادر نمرة ٢٣٦٥ سنة ١٩٤٠ مدني فارسكور وفاء لمبلغ ٣٦٠ قرش صاغ قيمة المحكوم به والمصاريف ورسم التنفيذ والنشر بخلاف أجرة النشر وما يستجد لطلب محمد السيد يحيى التاجر بفارسكور

فعلى راغب الشراء الحضور

إنه في يوم الأحد ٢٣ مارس سنة ١٩٤١ الساعة ٨ أفرنكي صباحاً بناحية البياض وسوقها سيباع هذه الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك محمد علي الصعيدي من البياض نفاذاً للحكم رقم ٣٦٦ سنة ١٩٣٨ وفاء لمبلغ ٢ جنيه و ٩٦٠ مليم خلاف رسم هذا وما يستجد . وهذا البيع لطلب جرجس ابراهيم التاجر بالواسطى

فعلى راغب الشراء الحضور

إنه في يوم الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٤١ الساعة ٨ صباحاً [illegible] جرجا والأيام التالية إذا لزم الحال بمحل الحجز سيباع هذه الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك عبد الرسول محمد عبد الرسول نفاذاً للحكم الصادر من محكمة جرجا الأهلية في القضية المدنية رقم ١٤٣ سنة ١٩٤٠ جرجا وفاء لمبلغ ١٩١ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وما يستجد من المصاريف لغاية تمام السداد لطلب الشيخ عبد الله محمود شلبي

فعلى راغب الشراء الحضور

تحية لبنان

من أستاذ مصري

قالوا: الرحيل إلى «لبنان» بعد غد
فقلت: يا حبذا أفياء «لبنان»
وحبذا شعب هذا الحي من نفر
شم العرانين من شيب وشبان
دعائمٌ لمعالي العُرب قوية
على الهدى «لمعد» أو «قحطان»
وحبذا الروض يكسوه الحيا حللا
من البدائع زهراً ذات أفنان
يفصل النَّور فيها حوكها نضر
كما يفصل فيروز بمرجان
وحبذا «الأرز» والأرواح خافقة
والطير [illegible]
إذا تغنى هزار الأيك عنّ له
من عندليب الربا صوادح ألحان
طوراً على الآس يثني عطفه مرحاً
وتارة في ذرا الشريان والبان

***

لله يا نبات الأرز إن عطرت
بك المحاريب في أرجاء «حلوان»(١)
فصافحي علم الإسلام حانية
وأبلغيه تحياتي وتحناني
ولثمي للك «الفاروق» ما زخرت
به المجامع من حمد ورضوان

(١) حلوان: إحدى ضواحي القاهرة يسكنها الإمام المراغي شيخ الأزهر.

ولقى «النيل» إخلاصاً وتكرمة
من نبع «رشعين» هذا الكوثر الداني(١)
ولقى أهل ودي أن تخبرهم
إني على العهد، لا سال ولا وان
وزعت قلبي في الأحباب فاقتسموا
نصفاً «لمصر» ونصفاً بين لبنان

***

سلمت يا «مصر» من كيد العدا أبداً
ولا مُنيت مدى الدنيا بعدوان
أنت الرجاء لأهل الشرق إن سلموا
وإن تفانى في إعناتهم جان
وجدت يا «مصر» للحسنى موفقة
فيك النزيل ورب الدار سيان
ودام «أزهرك» للنور مزدهراً
يشع بالرشد في جد وإمعان
ودام للعلم [illegible] يرعى حماه بطرف غير وسنان

***

لا تعجبوا لفؤادي كيف أقسمه
بين الأحبة من قومي وجيراني
إني وجدت «بأم الملك» لا عجب
داراً كداري وإخواناً كإخواني
مهذبين أتم الله نعمته فيهم بما شئت من علم وإيمان
لقيت منهم على التقصير مغفرة
ورغبة الخير من كل إنسان
وإن حننت إلى مصر وفتيتها
مدّ السرور بهم أسباب سلواني
فإن سكت فإن الفضل يشكرهم
وإن شكرت فدون الحق شكراني

(١) نبع رشعين: الذي تستقي منه طرابلس وضاحيتها.

لبنان ، يا جنة الأحلام لي عطفت
روحك الغضُّ من حوري وولداني؟
أرى الملاعب ملأى بالبنين كما
أبصرت يوم الرحيل أهلاً وغزلان
وأبتغي بينهم ولدي وأنشدهم
يا رحمتي لفؤادي المخلص الحاني !!
متى أرى الدار للأحباب جامعة
وأسمع الولد المحبوب ناجاني ؟
إذا تم لنفسي كل مأربها
وقلت إن زمان اليوم صافاني
«زهير» يا قرة العينين ما سمحت
نفسي أبيك ولا يبدلك وجداني
لكن أمراً كريماً رمت أنشده
لم أملك الصبر عنه حين أولاني
إخوانك الغر في لبنان يجمعني
منهم رجاحة أحلام وأذهان
رجوت أني أزيد النشء معرفة
بشرعة الله من هدي وقرآن
يا ربما كان منهم بعد آونة
كف «الغزالي» أو نِدُّ «ابن كيسان»
ما كنت أرضى على الأرض من ذهب
لو لم يكن في سبيل الله هجراني
فاغفر فكم تعلم الغفران من شيمي
واصفح فإن جميل الصفح من شاني
لأوسعنك ثمَّ يا بني إذا
ما قدر الله يوماً أن تلقاني

أطرابلس الشام صفوح الدين أبو علي
مندوب الأزهر إلى الكلية الإسلامية

من الشعر الرمزي :

إلى طليق

ابسط جناحك في الفضاء وتزود من متع الضياء
واسمع أغاريد الحدا ئق حين أسكرها اللقاء
وتنقل أنى شئت إ ما في الروض أو عالي السماء
لا تخش فالصياد في قفص ، فشكراً للقضاء

* * *

الجو طلق لم يعد يلقى صَراراً أو سَهام(١)
ولقد تجوز الصفا وأماط أطراف الظلام
فأجابت السحب التي ملأ البلاد بها الظلام
لا تخش فالصياد في قفص فشكراً للقضاء

* * *

الشمس تضحك للطيو ر وهن آمال تدور
الأفق يبسط للربا عين ابتهاجاً بالسرور
وينادي الأنام في شغف إلى شعر الطيور
لا تخش فالصياد في قفص فشكراً للقضاء

* * *

الأيك أسلمها الفرا ق وهاجها طرب الرجوع
سئمت حياة لا ترى طيراً تغرّد للجموع
وببالها قفص به من بعد آفاق خنوع
لا تخش فالصياد في قفص فشكراً للقضاء

* * *

الهم حن إلى النجا جاة التي عودته
حتى إذا غلب الشجي (٢) مغرّداً ألفيته
متضاحكاً ومصفقاً يا من أردت حياته
لا تخش فالصياد في قفص فشكراً للقضاء

(العراق — بابل) أحمد مطلوب العطار

(١) الصرار : الريح الباردة مع ندى . السهام كالسموم : الريح الحارة . (٢) الشجية : الترمي .

٣ – كتاب الحيوان للجاحظ

جواب رسالة المحقق الكبير

الأب أنستاس ماري الكرملي

بقلم عبد السلام محمد هارون

٦ – مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية

فاتني حقاً أن أنسب بعض الكلم الأجنبية إلى لغاتها، وأشكرك على استدراكك لما فاتني من ذلك حق الشكر. وليس ينقص عجب الناس وعجبي من صدق غيرتك، وواسع علمك.

وجدتك تنكر علىّ في ش ص ١٠٢ مقابلتي الجندب بكلمة : grasshopper الإنجليزية ، وقلت : إنها تعني الجرادة . والحق أن الكلمة لا ينصرف إلا إلى ذلك النوع الصغير من الجراد ، الذي يشتهر بالنزو والصرير[1] . ففي مادة grasshopper من دائرة المعارف البريطانية ص ٦٥٨ من المجلد العاشر[2] .

(They are especially remarkable for their leaping powers, due to the great development of the hind legs and also for their stridulation Which is generally, but not always, a function of the male only).

وعلى ذلك الوجه الصحيح ترجمت الكلمة في معجم المطرف والقاموس العصري ومعجم Wartabet وسائر المعاجم الإنجليزية العربية الصادرة . فقولك (أما الجندب فلا مقابل له بالإنكليزية ...) إلخ – ليس صحيحاً كما رأيت .

أما الجرادة فالتي يقابلها بالإنجليزية locust كما جاء في دائرة المعارف البريطانية (١٤ : ٢٩١ – ٢٩٢) حيث ترى وصفها وشكلها الناطق . والجراد نادر الوجود في بلادهم ، وهم يؤرخون رحلاته النادرة إليهم ، كما في ص ٢٩٢[1] .

ومما هو جدير بالذكر أن كلمة locusts كثيراً ما يراد بها (الجنادب) ولكن في الاستعمال العامي أو غير الدقيق ، ففي دائرة المعارف البريطانية grasshopper ما يأتي :

(. the name locust is often applied to any member of this family, in its strict usage the term only refers to certain destructive species).

وفي ش ص ٣٧٤ (غارطيس) اليونانية . قلت صوابها : (غرتيس) إذ ليس في لسان اليونانيين طاء . وهذه عبارة ظاهرية بحتة ، فالحق أن الطاء حرف مشترك بين اللغات جميعاً ، وإن لم يفردوا لها حرف خاص . وليست الطاء إلا تاء مفخمة . فالتاء في نحو كلمة : Total الإنجليزية ، و monotone الفرنسية – هي طاء في الحقيقة ، بل هي أشد من الطاء العربية التي في نحو : إطار ، وسطر . فالقول بأن الطاء لا وجود لها في اليونانية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات – غير منضبط على الواقع .

ومثل الطاء في ذلك الصاد ، فالصاد لم يفردوا لها حرف خاص في اللغات الأوربية ، بل يعبر عنها بحرف السين (S) أو (Ç) في نحو كلمة Façon الفرنسية .

وفي ش ص ٣٦٧ بيت علقمة في نعت الظليم :

وضاعة كعصي الشرع جؤجؤه
كأنه بتناهي الروض علجوم

وفسرتُ (العلجوم) بأنه البعير الطويل العظيم القطران ، فاعترضت باعتراضين . أما أحدهما فقولك : إن المراد بكلمة (العلجوم) هنا (طائر عظيم أبيض) . وأما الآخر فقولك :

(١) القاموس والمصباح والمخصص (٨ : ١٧٦) .
(٢) الطبعة الرابعة عشرة سنة ١٩٢٩ .

(٣) انظر أيضاً : Universal Children's Dictionary ص ١٨٩٨ .

« من أن لك هذه الزيادة : المطلى بالقار[1] » .

أما الاعتراض الثانى فانك تجد جوابه فى شرح المفضليات لابن الأنبارى ص ٨٠٤ س ١٠ — ١١ طبع بيروت ١٩٢٠ وفيه هـذا النص : « والعلجوم : البعير الطويل المطلى بالقطران » .

وأما تفسيرك للعلجوم فصحيح ، ونطق به بعض العلماء بالشعر ، كما فى شرح المفضليات ٨٠٥ س ٥ ، وفيه أيضاً : « ويقال هو الليل ، فشبّه سواد الظليم بسواد الليل » . لكن الرأى المقدّم فى تفسير الكلمة أن تؤول بالبعير . وتجده أول الأقوال عند ابن الأنبارى . ويؤيد هذا الشرح أن كلة (وضّاحة) فى أول البيت مأخوذة من صفة البعير الذى يضع فى سيره . ومنه قول دريد بن الصمة[2] :

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع

والشعر العربى أقوى دعامات تفسيره أن يؤوّل بالنظائر والأشباه . ولذلك يحتاج كثير من الذين يتصدون إلى المعاجم ونحوها ، ليفسروا بها الشعر العربى دون أن يلتفتوا إلى أجواء المعانى العربية ، وهى متقاربة متداولة ، يأخذ بعضها من بعض وينظر إليه . فما ورد شبيهاً بالبيت السالف ، قول طرفة[3] :

ومكان زعـل ظلمانه

كالمخاض الجُرْب فى اليوم الخَـصِر

فانظر كيف شبه الظلمان بالمخاض من الابل ، وقيد المخاض بأنها (الجُرْب) لأنها تكون سوداً بما طليت به وعُنّئت من القطران . وهو قد اختار اليوم (الخَصِر) لأن البرد يكشف الهناء فيظهر سواده ، ويحلك ، كما أنه يظهر حمرة التقشر فيما يرى من مواضع الجلد . وهو تصوير دقيق رائع فى تشبيه الظلمان بالابل ، إذا لحظنا تجرد سوق الظليم وتعريه من الريش وحمرتهما .

والعرب أبداً يشبهون الابل بالنعام ، ويشبهون النعام بالابل ، لما هو واضح من اشتراكهما فى كثير من الخَلْق والخُلُق . والأول كثير . ومن الثانى قول لبيد[1] :

وخَبطاً من خواضب مؤلفات

كأنّ رءالَـها وُرْقُ الافال

إذ شبّه صغار النعام بصغار الابل الوُرْق .

٧ — ملاحظات شتى

فى حديثك عن ش ص ٢٧٠ نقلتَ نصّ ابن سيده فى المخصص (٨ : ١٧٣) : « والتأشير أيضاً : الأشناء ، وهى عقدة فى رأس الذنب (ذنب الجرادة) ، كالمخلبين ، ويقال لها الأشرتان » وبنيتَ على كلة (الأشناء) ما بنيت .

والحق أن كلة (الأشناء) محرفة من (الأشرة) بالضم ، وهى بمعنى (التأشير)[2] . وكيف يجعل ابن سيده (الأشناء) المجموعة ، تفسيراً للكلمة المفردة ، أعنى (التأشير) ثم ينعكس مرة ثانية فيفسر هذه الكلمة الدالة على الجمع بما يفسر به المفرد المؤنث ؟ ! إن هذا لدليل قطعى على التحريف .

وقد عقّب ابن سيده بقوله : « ويقال لها الأشرتان » يشير بذلك إلى أن تلك العقدة التى تشبه المخلبين النشمين يفرد لها اللفظ حيناً فيقال (الأشرة) ، ويثنى حيناً فيقال (الأشرتان) . فهل لحضرة الأب أن يرى معى أن ما ذهب إليه قد بعُد به عن الصواب ؟ ! فقول أبى النجم فى نعت الأفعى :

تأشيرها يحكك فى تأسيرها

صحيح لا تحريف فيه ، ويراد بكلمة (التأسير) الجلد

(١) سها حضرة الأب فى النقل ، فان اللفظ الذى أثبته فى حواشى الحيوان هو : (المطلى بالقطران) .

(٢) السيرة ٨٤٥ جوتنجن ، وإمتاع الأسماع المقريزى (١ : ٤٠٢) .

(٣) ديوان ابن العبد ٤٣ طبع ١٣٠٦ .

(١) الحيوان (٤ : ٣٦٠) .

(٢) القاموس وتاج العروس واللسان .

وأصل معنى التأسير ، السَّيْر ، كما أثبت في شرح الحيوان . وقد قال الراجز بعده :

مرُّ الرحى تجرى على شعيرها

فليس يكون هذا الصوت الشديد للأثناء التي ظننتَ . والجاحظ يحدثنا أن تلك الحزوز والأثناء التي في بطن الحية (لم توجد بيمين ولا لمس[1]) وليس لها ناحيةٌ في إحداث الصوت . وإنما يكون الصوت من ملمة الجلد ، وخاصة إذا كانت الحية في دور السلخ ، فإنه يسمع لجلدها — إذا قارب الانفصال وتلوّت الحية — كَشِيشٌ واضح ظاهر . وفي ذلك يقول الراجز في صفة شخب الناقة حين تحتلب[2] :

كأن صوت شخبها المرفضّ كشيش أفعى أجمعت لعض

فهي تحك بعضها ببعض

وفي ص ١٥٥ تحدثتَ عن (الأجدهاق) حديثاً عجباً قياً ، فبهرتَ الناس بما أنك تحقق [illegible] وقد وجدتك تقول : « وأما أن الجاحظ [illegible] القول من أحاديث الباعة والتجار [illegible] لأنه يُرى مدوناً في أسفار متقدميهم الأقدمين » فهل هناك تنافٍ بين قول الجاحظ وما ذكرت ؟ أو ليس الباعة والتجار عندنا يتكلمون بما في أسفار الأقدمين ، بما يجرى على مذهبهم من حب الإغراب والتعجيب ؟! وقد سمعنا التجار يحدثوننا بأخبار وأقاصيص مسطورة في كتب الأولين ، وكم يزيدون فيها حيناً وينقصون آناً ، فيخلعون بذلك عليها مسحة من جمال .

وظننتَ أن (الباعة) محرفة من (الباقية) وجعلتَ تؤيد مذهبك تأييداً . ولست أدرى ما عدا بك عن (الباعة) أوليس الباعة يتحدثون ويكثرون من الحديث ؟!

(١) الحيوان (٤ : ٢٢٥ س ١ — ٣) .
(٢) المخصص (٨ : ١١٠) والخزانة (٤ : ٥٢١ بولاق) . والحيوان (٤ : ٢٢٣) ، وفيه بقية المصادر .

أوليس قد حمَّل الله كثيراً منهم على الكذب والتزيد ، والمبالغة في الاختلاق والبهرجة ؟! وكم من قد رأيت كثرة حلفه ، وقوة تصنعه ، وكثافة حديثه . ولكن من وقع طلاق زوجه مثلاً ليحتال على عميله بما يحتال ؛ وقد عرف الجاحظ ذلك منهم ، فأضاف إليهم خبراً غريباً في موضع آخر من الكتاب[1] : « ولم أجد أهل سكة اصطفانوس ، وباب جارية ، وباقة صرية بين منفى يشكّون . . . » إلخ . فليس في الكلام تحريف كما رأيت .

وفي ص ٤١٤ س ٣ (ولا تستمرئ) قلتَ : « والأفصح عدم الهمز . وقد تكرر هذا الخطأ مراراً » .

أما أن الهمز هو الأفصح فإنه صحيح لا جدال فيه ، وأما قولك إن ترك الهمز خطأ فلا وجه له من الصحة ؛ لأن تخفيف الهمزة في مثل هذا جائز جوازاً مشهوراً ، فكيف خفي عليك ؟! وأنا لم أسقط الهمزة من الكلمة ، [illegible] على مذهب الجاحظ ، وله الخِيَرَة فيما يقول .

فهذه الهمزة المضمومة ، المتحرك ما قبلها بالكسر ، يجوز تحقيقها بلا جدال . ولكن تخفيفها على ضربين : فمذهب سيبويه أن تخفف على طريقة (بين بين[2]) ، ومذهب الأخفش قلبها ياء[3] وقد وجدتُ كثيراً أن الجاحظ يميل إلى تسهيل الهمزات في مواضع شتى من كتابه ، وهذا أحدها . وإن أحببتَ أن تعرف بعض الشواهد على ذلك فانظر (١ : ١٣٠ س ٤ ، ٢ : ١٠٨ س ٧ ، ٣١٢ س ٢ ، ٣٣٣ س ٥ ، ٣ : ٣٦ س ٤ ، ١٣٠ س ٦ ، ٤ : ٣٠٣ س ٧ ، ٣٨٨ س ٢) .

(لها بقية) عبد السلام محمد هارون

(١) الحيوان ٢ : ١٢٦ س ٦ .
(٢) انظر توضيح هذه الطريقة شرح ابن يعيش ٩ : ١١٢ س ١ والإنصاف لابن الأنباري ٣٠٦ .
(٣) ابن يعيش ٩ : ١١٢ س ٢٤ وشرح الشافية ٣ : ٤٦ وهمع الهوامع ٢ : ٢٢١ .

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين . مصر